٢٩٥

HARLEQUIN

روايات احلام

وحدهما في الظلام

سارة كريڤن

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

وحدهما في الظلام

كان يجب أن تقول لا في لحظتها. كل غريزة فيها كانت تصرخ بها أن ترفض التضحية بنفسها على طريقة القرون الوسطى...

مع هذا، قبلت أن تبيع نفسها وتتزوج من «نك ديستراي» من أجل المال... وكان عليها أن تقضي حياتها بعد ذلك هاربة من قرارها.. ومن زوجها!

... إلى أن التقيا، ولم يعد لديها مجال للهرب!

قالت له: «زواجنا لم يكن له وجود.. لقد انتهى! ولا شيء تقوله أو تفعله سيشكل أي فارق».

– أنت مخطئة في هذا يا زوجتي.. لأنني لم أنتهِ منك بعد. في الواقع، أنا لم أبدأ بعد.

كان هذا سببًا آخر لتكرهه. ولكن لماذا لا تستطيع أن تسيطر على ردة فعلها؟ ألم تتعلم شيئًا من الماضي؟ لا شيء أبدًا؟!!

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	البحرين: ١ دينار
سوريا: ٧٥ ل.س.	السعودية: ١٠ ريال
الأردن: ١.٥ دينار	مصر: ٨ جنيه
الكويت: ٧٥٠ فلس	المغرب: ١٥ درهم
الإمارات: ١٠ دراهم	تونس: ٢ دينار
قطر: ١٠ ريال	عُمان: ١ ريال

ISBN 9953-15-145-8

مارغريت واي

إنها أسطورة في عالم الروايات العاطفية وقرّائها. تنشر لها روايات منذ ٣٠ سنة. عرفت بشخصياتها الشغوفة القوية ووصفها الوجداني المعبّر لطبيعة أستراليا.

ولدت مارغريت وترعرعت في مدينة بريسبين القائمة على ضفاف نهر، وهي تقيم الآن على مقربة من مدينة «موريتون بي» في مقاطعة «كوينزلند». تعشق هذه الكاتبة وصف بلادها وصفاً حياً للقرّاء.

قبل أن تتصرف للكتابة كانت مارغريت تحترف العزف على آلة البيانو وتعطي دروساً في العزف والغناء وترافق كبار المؤلفين والمغنّين. وهي تعزف حتى الآن بشكل جدّي. إلى ذلك فهي تهوى جمع التحف والأعمال الفنية والعناية بحديقتها.

١ ـ صدمة . . . تحت نور القمر!

قالت آنجيلا بلهجة المنتصر: «والليلة، سنذهب إلى نادي «واترفرونت»».

توقفت پيج عن تمشيط شعرها بالفرشاة، ونظرت إلى صديقتها نظرة ثابتة، وسألت: «أليس هذا نادي براد كولتر؟».

ـ أجل.

والتقطت زجاجة العطر من على طاولة الزينة وشمّتها دون تركيز، ثم أعادتها مكانها، وأكملت: «هل هناك مشكلة؟».

ـ أتمنى بكل تأكيد ألا يكون هناك مشكلة. . إلا إذا كنت قد أطلقت العنان لموهبتك في تدبير الزيجات.

ـ براد، يا حلوتي، رجل جذاب ومرغوب، وواضح أنه متيّم بك. فأين الضرر إذن؟

قالت پيج بهدوء: «يبدو أنك نسيت تفصيلاً صغيراً. فأنا امرأة متزوجة».

شخرت آنجيلا بسخرية: «حاولي أن تذكري زوجك بهذا. . يا له من زواج. . وأنتما لا تعيشان في البلد عينه».

هزت پيج كتفيها: «هذه هي الطريقة التي تناسبنا، إلى أن يتم الطلاق».

قالت آنجيلا: «حسن جداً. . أنت قلت هذا».

ـ على أي حال، هذا لا يعني أنني سأفعل شيئاً يزيد الوضع تعقيداً.

واستأنفت پيج تسريح شعرها: «بعد مرور سنتين من الفراق، بشكل نظيف ومرتب ونهائي. . لن يكون المجال مفتوحاً لأي كان لإثارة الفضائح».

رفعت آنجيلا حاجبيها: «هل تدعين أن نك سيكون كتوماً مثلك؟».

وضعت بيج الفرشاة من يدها، وبدأت تدعك يديها بالكريم، وردت: «أنا لم أدع يوماً أي شيء بخصوص نك.. إنه يعيش حياته كما يريد».

قالت آنجيلا برنة الأسى: «إذا لم يكن على استعداد لهجر طريقة عيشه كعازب، فلماذا طلب منك الزواج؟».

ـ لديه أسبابه.

ـ ولماذا وافقت؟

ابتسمت بيج لها في المرآة: «ولدي أسبابي كذلك».

دمدمت آنجيلا: «تجعلين كل شيء يبدو منطقياً.. مع ذلك فقد بقيتما معاً لمدة.. كم أسبوع؟».

قالت بيج مفكرة: «أكثر من سبعة بقليل. إذا لم تخني ذاكرتي».

ردت آنجيلا: «من الصعب أن ينسى المرء شيئاً كهذا».

اشتد ضغط بيج على شفتيها: «لا.. لكنه أمر يود المرء الهرب منه مع أقل ضرر ممكن».

قطبت آنجيلا: «أعتقد هذا. من ناحية أخرى، أنت لم تعطي المسألة أية فرصة حقيقية للنجاح. هل فكرت بهذا؟».

ـ صدقيني.. هذا الزواج قد كتب له الفشل منذ اليوم الأول. لكنها غلطة يمكن تصحيحها، ببساطة ودون ألم. على أي حال، وفي هذه الأثناء، أفضل أن يبتعد الرجال الجذابون عني تماماً، إلى أن ينجلي الغبار.

ووضعت بيج الغطاء فوق زجاجة الكريم: «وهذا يشمل براد كولتر».

ـ يا حلوتي.. أنت عائدة إلى ديارك غداً. والجميع يزور «واترفرونت» مرة على الأقل خلال إقامته في «سانت انطوان». هذه إحدى القواعد.

وكانت رنة صوت آنجيلا مقنعة: «ولن يكون عشاء حميماً بين اثنين، أنا وجاك سنكون معك على أي حال».

وصمتت قليلاً: «وأعرف أن براد حجز لنا طاولة مميزة».

وضغطت على كتفي بيج: «كوني رائعة الجمال.. فالمنافسة شرسة في واترفرونت».

مع إقفال الباب خلف صديقتها، تخلت بيج عن ابتسامتها ومالت إلى الأمام تريح مرفقيها على طاولة الزينة، وراحت تتأمل صورتها في المرآة.

فكرت في أن المشكلة تكمن في أنها لا تحب المنافسة، وفيما لو أحبتها، فهي تشك في أن تستطيع خوض معركة من أجل براد كولتر.. أو أي شخص آخر.

لأن كل ما تريده هو حريتها.

لقد تكلمت آنجيلا عن زواجها القصير الأمد كأنه مجرد مغامرة غرامية.

ماذا كان يمكن أن تقول بحق السماء لو عرفت ما الذي دفعها حقاً إلى هذا الزواج منذ البداية؟ إنها لم تكن سوى اتفاقية عمل تمكّن نك ديستري من أخذ مقعده في مجلس إدارة «هارينغتون هولدنغ».

كان جدها الأكبر يظن دون شك أنه ذكي جداً حين وضع بنداً قانونياً ينص على ألاّ يصل إلى مجلس الإدارة سوى أفراد من العائلة. فقد كان ينتمي إلى عصر العائلات الكبيرة، وكان يتوقع على الأرجح، أن تكون أجيال المستقبل خصبة في المواليد، وناجحة مثله في إبقاء الغرباء بعيدين عنها.

في ذلك الوقت، كان تمويل الشركة أكثر سهولة، فقد كان يتم عبر سلسلة من الاتفاقات بين الرجال الشرفاء، تعقد في نوادي لندن.

تعتقد بيج أن الاتفاق المعقود مع مصرف نك ديستري التجاري هو من ذات النوع.. ما عدا أن نك ليس برجل شريف.. والحميمية والدفء ودماثة المعشر ليست من صفاته المميزة وكذلك الإخلاص أو الإحساس المرهف.

لقد أوضح لها منذ اليوم الأول أنه لم يقتنع بوضع الشركة في السنوات الأخيرة، وأنه سيرضى بتأمين التمويل اللازم فقط مقابل حصوله على مقدار من السلطة. حين كانت السلطة بيد كريسين هارينغتون العجوز، أشار عليه أحد أفراد الأسرة بأن يتعامل مع نك، إلا أنه هز كتفيه متجاهلاً اقتراحه. لكن نك قال لوالد بيج ببرود: «أنا لست متزوجاً وأنت لديك ابنة وحيدة. فما علينا سوى اتمام المراسم كي نجعل الأمر قانونياً، ثم تذهب السيدة وأنا كل في طريقه».

وصمت قليلاً: «أعتقد أن الطلاق لن يؤثر على مركزي في مجلس

الإدارة؟».

شهق فرانسيس هارينغتون معترفاً بأنه لن يؤثر.

وفكرت پيج أن احتمال الطلاق لم يكن قد خطر ببال جدها الأكبر.. قد يتمكن شخص سواها من الاستمرار في مثل هذا الزواج الغريب. لكن الحياة ستكون بائسة مثيرة للشفقة، ولن يكون لها مثيل بكل تأكيد.

لا بد أن جدها يتقلب في قبره في هذه اللحظات. لكن يوم عرض عليها المشروع كتجربة، راح رأسها يدور. وكان والدها قد قال لها بلهفة: «لقد أوضحت تماماً لديستري أن القرار يعود لك قطعاً، وأنه لن يكون هناك أي إكراه من أي نوع وأن الاتفاق برمته يجب أن يكون مؤقتاً، وهذا يتركك حرة في أن تتابعي حياتك الخاصة بعد مرور الفترة القانونية».

كانت پيج جالسة بجمود ويداها مطويتان في حجرها.. وكانت تنظر إلى والدها، لكنها لم تكن تراه.. فالصورة التي انطبعت في رأسها كانت لشخص آخر.. وجه أسمر نافذ الصبر، ذو أنف بارز، وفم قاس قوي. ليس وسيماً، لكنه يتميز بديناميكية حقيقية تتجاوز المألوف من الجمال الجسدي والسحر، حين يختار أن يرمي سحره.

واعترفت في سرها بأنه يمكن لذلك الفم أن يلين، ويلتوي بابتسامة تجعل عظامك تذوب.. إذا ما كنت حساساً وسريع التأثر.

إنه طويل، نحيل الجسم، عريض الكتفين وضيق الوركين، مما يجعله يبدو رائعاً في الثياب الرسمية أو العادية على حد سواء. صوته منخفض ذو لكنة باردة مشوبة بالتسلية في بعض الأحيان.

وبالإجمال.. ليس فيه أية عيوب.

إلا أنها لا ترغب في أي شيء منه.

نظرت إلى نفسها ببطء وتفكير، بدءاً من الشعر البني الفاتح وأطرافه الشقراء، إلى الوجنتين العريضتين، ثم العينين الخضراوين، برموشهما الطويلة، والخطوط الباردة المتوترة لفمها.

وفكرت بصراحة... هو لم يرغب بها كذلك.

كان يجب أن تقول لا في لحظتها. كل غريزة فيها كانت تصرخ بها أن ترفض التضحية بنفسها على طريقة القرون الوسطى.

كان والدها يتوقع أن ترفض الفكرة. رأت هذا في الهزيمة التي ظهرت في تقوس كتفيه، وفي اللون الرمادي الخفيف الذي حل مكان فظاظة أساريره المعتادة وقد أخافها هذا.

قالت وصوتها يرتجف قليلاً: «هل تحاول أن تخبرني بأن هذه هي الطريقة الوحيدة لتحصل على التمويل الذي تحتاج إليه؟ وأن مقعداً في مجلس الإدارة هو الثمن؟».

ولم ينظر والدها إليها: «يطلب المصرف مقداراً من السلطة مقابل هذا النوع من التمويل».

وبدا أنه يكرر شيئاً تعلمه: «يحتفظون بالحق لفرض الشروط، وهذا آخر شروطهم.. وبسبب قوانين كريسين المجنونة، هذه هي الطريقة الوحيدة لتحقيق ما نريد».

وصمت قليلاً: «لكن، ما من أحد سيجبرك على هذا، پيج. يجب أن يكون قرارك لوحدك. وإذا رفضت.. حسن جداً.. سنفتش عن التمويل في مكان آخر.. وبطريقة ما».

وردت بصراحة: «أشك في أن يكون الأمر بهذه البساطة. لو كان كذلك لما طرحت علي الفكرة أصلاً. صحيح؟».

وساد الصمت، ثم هز رأسه موافقاً.

قالت بلهجة ثابتة إيجابية: «إذاً.. سأوافق. فعلى أي حال، إنها مجرد إجراءات شكلية.. وما إن تكتمل المتطلبات القانونية، يمكن أن نطلق. وتكون هذه نهاية القصة».

إلا أنها كانت البداية.

وصمتت، بينما راح قلبها يخفق فجأة. لقد سمحت لنفسها أن تشرد نحو المنطقة المحرمة، وعليها أن تتوقف فوراً.

ابتعدت پيج عن طاولة الزينة بتململ وسارت حافية القدمين عبر الغرفة،

ثم خرجت عبر الباب الزجاجي العريض إلى الشرفة. كانت طيات ردائها الأبيض الحريري تهمس بنعومة حول ساقيها وهي تتحرك.

كانت الشمس قد مالت نحو المغيب، والبحر الكاريبي يضج باللونين القرمزي والذهبي.

استندت إلى السياج الحديدي المشغول بدقة ونظرت إلى البحر.. وفكرت أن فندق جاك وآنجيلا هو أحد أروع الأماكن التي زارتها.

كانت بيج قد التقت آنجيلا في أول يوم لهما في مدرسة الراهبات الداخلية وأصبحتا صديقتين منذ ذلك الحين. وبينما اتجهت بيج إلى الصحافة، أصبحت آنجيلا ممرضة، والتقت بجاك حين أدخل العنبر الذي تعمل فيه، وساقه مكسورة. ولكم ذهلت بيج حين قالت لها آنجيلا بعد بضعة أسابيع إنها ستتزوجه وتعود إلى سانت انطوان معه لمساعدته في إدارة فندق «لو روشيه». في الواقع لا تزال مذهولة وهي ترى كيف استطاعت صديقتها أن تتكيف مع حياتها الجديدة بسهولة.

كان الفندق بيتاً لعائلة جاك منذ عدة أجيال، ومنذ توقف العمل في مزارع قصب السكر التي كانت مصدر معيشتهم، بدأ والده بالعمل على ترميم وتوسيع البناء ليحول البيت القديم إلى مكان يجمع الفخامة والبساطة معاً. فأصبح فندق «لو روشيه» ناجحاً ومشهوراً منذ ذلك الوقت.

أما هي فقد تمتعت بعطلة رائعة. لكنها لن تكون آسفة لعودتها إلى ديارها.. هكذا اقنعت بيج نفسها، فبراد كولتر يصرف الكثير من الوقت في الفندق مؤخراً.

أي شخص آخر مكانها، كان سيتمتع دون التزام، ويعود إلى دياره مبتسماً في نهاية العطلة.. إذاً، لِمَ لا يمكنها هذا؟

لا يمكن أن يكون السبب أنها تشعر بضرورة البقاء مخلصة لزواجها.. فنك دون أدنى شك لا يشعر بمثل هذا الالتزام.. في الواقع، إن المراسم الكنسية كلها كانت تمثيلية هزلية، ولا تستطيع أن تتصور لماذا أصر على إجرائها.. إلا إذا كان الهدف منها استرضاء جدته الفرنسية العجوز، التي تبدو تقليدية،

متزمتة، كما أنها قريبته الحية الوحيدة. لحسن الحظ أن العجوز تعيش في فرنسا، لذا لن تعرف كم من الوقت سيقضيه حفيدها مع عروسه، خاصة تحت السقف ذاته. لأنها وبالرغم من اعتبارها الزواج المدبّر حلاً متعقلاً لمشكلة صعبة، إلا أنها تصر على احترام المظاهر.

عضت بيج شفتها مفكرة... نك لم يكن يحب المظاهر. كما أنه لم يكن يجيد التظاهر.

وتوقفت بغتة، وهي تعي أن هذه منطقة أخرى محرمة تماماً.

فقررت أن تركز على الجانب الإيجابي للموقف.. وذكرت نفسها بأن الأشهر والأسابيع تتوالى وأن فترة انفصالهما تكاد تنتهي إلى الحرية.

استدارت عائدة إلى غرفتها وهي تشعر بارتجافة صغيرة.. كان غروب الشمس يجعلها دائماً تشعر بالسوداوية. لكنها غداً ستعود إلى حيويتها المعتادة.

اختارت فستاناً أنيقاً من الحرير الأسود الضيق ذا أربطة رفيعة على الكتفين. وعلقت في عنقها سلسلة ذهبية في طرفها لؤلؤة تشبه الدمعة، ولؤلؤتين مماثلتين في أذنيها، وانتعلت حذاء عالي الكعبين.

إن الأمر لا يستحق العناء... هكذا فكرت وهي تقوم بنقد ذاتي ملقية نظرة في المرآة الطويلة.. لكنها على أي حال، تبدو جيدة.

كان «واترفرونت» مبنياً على فسحة أرض تطل على سانت انطوان، وهو عبارة عن بناء كبير من طابق واحد، كما تتطلب القوانين المحلية، يوفر تسهيلات للمؤتمرات، وفيه نادي رياضي وكازينو خاص، إضافة إلى مطعمين ممتازين، أحدهما في الهواء الطلق.

كان براد كولتر ينتظر في ردهة المطعم، ببنيته الضخمة ووجهه الوسيم الخشن.. لمعت عيناه حين رأى بيج. فأخذ يدها وصافحها: «تبدين رائعة. انجي، هل أقنعتها بالبقاء مدة أطول؟».

هزت آنجيلا رأسها: «ليس حتى الآن.. يبدو أنها مصممة على ركوب الطائرة غداً.. قالت تفاهات حول اضطرارها لكسب معيشتها».

ابتسم براد لها: «بإمكانها أن تفعل هذا هنا».

هزت پيج رأسها، ونظرت حولها لتستوعب الجو الفخم الممتزج بالذوق الجيد.

- لا أعتقد هذا.. أنتم لستم بحاجة إلى شخص يعمل في العلاقات العامة هنا.. فهذا المكان يسوّق نفسه بنفسه.

- هناك مراكز أخرى.. وأدوار أخرى نستطيع أن نناقشها.

كان لا يزال يمسك بيدها، فأبعدت پيج نفسها عنه بلطف: «إنها فكرة لطيفة، لكنني لا أفكر فيها في هذه اللحظات، شكراً».

قال براد مقترحاً: «حسن جداً.. دعيني على الأقل أصطحبك بجولة لتشاهدي المكان».

قال جاك بصدق: «فكرة جيدة.. سنراكما في المقهى».

وسمحت پيج لنفسها أن تقاد بعيداً يساورها شعور بالذنب.

بالرغم عنها، وجدت أنها تستمتع بالجولة. كان من الواضح أن براد فخور بما حققه. ومن حقه أن يفخر. وكانت خططه للمستقبل واضحة، كما أدركت بإعجاب صريح.

سأل وعيناه تتفحصانها وهو يصب الشاي في مكتبه: «هل أنت متأكدة من أنني لن أستطيع إغراءك بالبقاء هنا؟».

- مقتنعة تماماً.

وأخذت منه فنجان الشاي وهي تتمتم بالشكر.

- في الواقع، ربما يجب أن أفكر باستمالتك إلى «هارينغتون هولدينغ»، حيث نستطيع الإفادة من وجهات نظرك.

ارتفع حاجباه: «ألا تسير الأمور جيداً؟».

هزت كتفيها: «لم تكن الأمور على ما يرام خلال العام الفائت. ولم يخلُ الأمر من المشاكل».

توقفت وقد ظهر على وجهها تعبير ساخر: «وكما ترى، أنا مسؤولة علاقات عامة سيئة.. لأنني يجب ألا أتكلم هكذا.. يجب أن أقول إن كل شيء على ما يرام».

- حسن جداً.. لا وجود للصحافيين هنا، وأسرارك آمنة معي.

نظر إليها متسائلاً: «إذاً، إذا لم يكن قلبك يميل إلى عملك، فلماذا تعملين في العلاقات العامة؟ ربما حان الوقت لتغيير مهنتك».

- لدي مهنة. لقد بدأت العمل في مجلة نسائية وأعمل في النشر.

- وهل مللت العمل؟

- أبداً.. لكنني أُقنعت بأن مكاناً آخر يحتاجني وعائلتي مقنعة جداً.

- آه.. إذاً ربما أحاول قليلاً من المداهنة بنفسي.

أحست أنه تحرك إلى مكان أقرب على الأريكة الجلدية البيضاء.

فتصلبت پيج، وتشابكت يداها في حجرها. كانت لغة جسمها كلها تحذير له بألا يقترب أكثر، فابتسمت له ابتسامة مشدودة: «في الواقع لست منفتحة لأي نوع من الإغراء في الوقت الحاضر، فلدي مشاكل خاصة أحاول حلها».

قال: «أعرف أنك متزوجة. أخبرتني آنجيلا، لكنها قالت كذلك إن الزواج لم ينجح. لذا فلا داعي لأن يكون هذا حاجزاً، فأنا مطلّق، وهذا ليس نهاية العالم.. إلا إذا كنت لا تزالين تحملين شرارة الحب لذلك الشاب؟».

- بكل تأكيد لا.. نحن لم نكن معاً وقتاً طويلاً يكفي لإطلاق شرارة.

وتحولت نظرة العينين الزرقاوين إلى الخبث: «هذا لا يعني شيئاً.. أحياناً لا يلزم سوى نظرة عبر غرفة مليئة بالناس».

هل هكذا كان الأمر حين شاهدها؟ وأملت من كل قلبها ألا يكون الأمر كذلك، لأن الخداع وحده يبدو هكذا..

نظرت إلى فنجان الشاي الذي لم تكن قد لمسته بعد وقالت بتوتر: «بالنسبة لي، يلزم أكثر من هذا بكثير».

قال: «حسن جداً.. أنا رجل صبور.. أستطيع الانتظار».

عضت پيج شفتها: «براد.. أنت حقاً لطيف..».

- أوه.. يا إلهي.. أشعر بالرفض قادماً.

- لكنك لا تعرفني.. ولا تعرف عني سوى أشياء قالتها آنجيلا لك.. وأنا أحذرك: إنها متحيزة.

وحاولت أن تضحك.

ـ ولهذا السبب بالذات أريدك أن تبقي لفترة أطول. لتكون لنا فرصة لنعرف إذا كان هذا سيقودنا إلى مكان ما.

وصمت قليلاً: «بيج. لقد صدمت بقسوة حين تحطم زواجي، ولن أتظاهر بالعكس. لكنني تجاوزت تلك المرحلة الآن، وها أنا مستعد للبدء من جديد. وحين رأيتك، فكرت لأول مرة بأن هذا هو الوقت والمكان والفتاة».

قالت بهدوء: «لقد أرضيت غروري. في الواقع إن هذا يشرفني. لكنني ببساطة لست حرة، لا شخصياً ولا مهنياً، لأضع خططاً نهائية للمستقبل. ليس بعد.. أنا فعلاً أحتاج إلى أن أرتب حياتي في انكلترا».

ـ لكم أود أن تتذكريني بعد عودتك إلى ديارك.. لكن الكاريبي مكان بعيد جداً عن بريطانيا.

ضحكت بيج: «ليس منذ اختراع الطائرات النفاثة بالتأكيد؟ وأعتقد أن أسوأ مرحلة من الرحلة هي رحلة العبّارة البحرية من «سانت ماري»».

وحركت أنفها: «أنا لست بحارة ماهرة، لذا لا أتطلع بلهفة لرحلة العودة».

نظر براد إليها: «أتعنين أنك لم تستخدمي «هيلير»؟ إذن يجب أن تفعلي، إنه يقوم بالرحلات الجوية المحلية.. وهذا ما يستطيع مطارنا الصغير أن يستوعبه. سأتصل به الآن».

وقف وذهب إلى طاولته: «في أي وقت رحلتك؟ سيوصلك إلى هناك ويتبقى لك وقت إضافي».

قالت بيج، وإنذار سريع يتصاعد من داخلها لتوقعها المزيد من العبء على ميزانيتها.

ـ أوه.. أرجوك.. لا داعي لهذا.. حقاً. لدي تذكرة العبارة و..

قاطعها براد بحزم، وهو يطلب الرقم: «لكنك ستشعرين بالراحة أكثر مع هيلير.. أرجوك دعيني أقدم لك هذه الخدمة الصغيرة، متى تقلع طائرتك؟».

وأخبرته على مضض. في بعض الأحيان يكون من الأسهل الاستسلام بلباقة

بدلاً من المضي في جدال تشك في أن تكسبه.

فكرت بخشونة: المشكلة أنني لست معتادة على اللطف، فعشيرة هارينغتون بوجه عام، تميل للأخذ لا للعطاء، ونك.. حسن جداً، نك لا يعطي شيئاً.. وأحست بألم مفاجيء في داخلها.

قال براد بمرح، وهو يعيد سماعة الهاتف إلى مكانها: «لقد تم ترتيب كل شيء. سأرسل سيارتي عند الظهر لتأخذك إلى المطار».

وتفرس بها مقطباً: «هل أنت بخير؟ هل كنت أحملك ضغطاً متزايداً؟ أنا لم أقصد هذا».

أكدت له بيج بسرعة: «لا. كل شيء على ما يرام، وأنا.. أنا ممتنة جداً.. حقاً».

ووقفت مضيفة: «سيتساءل جاك وآنجيلا أين ذهبنا.. ربما يجب أن ننضم إليهما».

قال براد على الفور: «طبعاً. لقد كنت أنانياً.. لكني أردت أن أحتفظ بك لنفسي قليلاً من الوقت».

تقدم إليها ووضع يديه بلطف على كتفيها: «هل لي أن أودعك الآن.. ولوحدنا؟».

ابتسمت ابتسامة سريعة، وتمتمت بكلمات خجولة وهو ينحني نحوها. وكانت شفتاه على خدها دافئتين.

قال، وهو يتركها: «حسن جداً.. هذه بداية».

وفكرت بيج: لا ليست البداية. إلا أنها ندمت لتفكيرها هذا وتمنت كثيراً أن تكون عكس ذلك، وأن يشعل عناقه شرارة تدفعها إلى القبول بحثّه لها.

وسيسر جاك وإنجيلا كثيراً.. هكذا ذكرت نفسها بسخرية.

لكن هذا لن يحصل.. وهذا كل ما في المسألة.

همست آنجيلا بينما كانت بيج تجلس إلى جانبها: «كيف جرت الأمور؟».

ـ إنه لطيف حقاً.

وتبدل وجه آنجيلا: «لكن جاك قال إنك ستسافرين غداً».

ضغطت پيج على ذراع صديقتها بمحبة: «لديه حكمة تفوق عمره.. لكنني سأعود لأبقى في وقت آخر. إذا كنت تستقبليني».

ونظرت حولها. كانت الطاولات مغطاة بالمفارش البيضاء تلتمع فوقها الأواني الفضية، وقد وزعت حول حلبة الرقص الواسعة. كانت الفرقة الموسيقية المؤلفة من أربعة عازفين، تعزف بهدوء. لكن أحداً لم يكن في حلبة الرقص، مع أن كل الطاولات كانت مشغولة وممتلئة، والنادلون يتحركون برشاقة بين الزبائن. وتداخلت همهمة حديث وضحك مع أصوات الموائد.

كانت على كل طاولة شمعة مضاءة داخل كأس جميلة، تحيط بها زهور مشرقة.

وعلقت پيج: «المكان جميل حقاً هنا، وهناك حشد كبير. لم أكن أظن أن هناك سياحة في هذا الموسم».

هزت آنجيلا كتفيها: «يختان كبيران رسيا في الميناء هذا الصباح، ويقول جاك إن أحدهما لآلن فرويات، الذي يملك سلسلة من المجلات الأوروبية. والآخر لكيل دراك، منتج الأفلام. من الواضح أنهم تلقوا تحذيراً عن الطقس. فنزل ضيوفهم جميعاً إلى الشاطىء».

قطبت پيج: «تحذير عن الطقس.. أتعنين أن هناك إعصاراً؟».

ـ أوه.. قد لا يكون الأمر بهذا السوء. لكن من الممكن حصول عاصفة استوائية في مثل هذا الوقت من السنة.

ومطت شفتيها: «وهذا قد يؤخر رحلة العبّارة».

ردت پيج بخشونة: «هذه ليست مشكلة.. يبدو أنني سأذهب إلى «سانت ماري» بفخامة.. والشكر لبراد.. ولشخص اسمه «هيلير»».

قالت آنجيلا: «يا للسماء.. أنا متأثرة. لا بد أن هيلير اضطر إلى التخلص من المليونير، ليدبر لك مقعداً».

كانت طاولتهم في زاوية المطعم، الأقرب إلى الشاطىء، مما يجعلهم يتمتعون بالنسيم القادم من البحر.. لكن لم يبدُ أن هناك نسيماً. فقد كان الجو حاراً جداً وساكناً جداً. في الواقع، لقد كان كئيباً. أخذت پيج تراقب انعكاس

صورة القمر على سطح المياه الهادئة. لعل البحارة في هذين اليختين يعرفون ماذا يفعلون حين فتشوا عن ملاذ آمن.. للحظة أحست برجفة خفيفة من القلق، لكنها صرفت النظر عنها.. ستكون في منتصف الطريق إلى بلادها في الوقت الذي سيضرب فيه الطقس السيء. هذا إذا ساء الطقس حقاً.

كان الطعام لذيذاً، حساء اليقطين تبعه السمك الأحمر، وطبق دجاج بالتوابل قدّم مع الأرز الزكي الرائحة. وكانت الحلوى قطعاً من كيك جوز الهند بالمثلجات.

كان براد مضيفاً لبقاً، فأبقى الحديث عاماً وخفيفاً.. ولم يعلق بشيء على رحيل پيج المنتظر مما جعلها تشعر بالارتياح.

الآن وقد زال الضغط، أصبحت الأمسية أكثر متعة، هذا ما قررته مع وصول القهوة.

كانت الفرقة الموسيقية تعزف لحناً ناعماً وحالماً. ووقف جاك وآنجيلا ليرقصا. راقبتهما پيج يدوران ببطء في الحلبة بين ذراعي بعضهما. كان جاك يبتسم لزوجته بحب، ورفعت آنجيلا يدها لتلامس خده.

وفكرت پيج: كل شيء على ما يرام بالنسبة لهما. وكبتت طعنة حسد كانت قوية إلى حد الألم.

وكان براد يراقبها متسائلاً، وجبينه مجعد قليلاً.

ـ هل ننضم إليهما؟

أجفلت پيج وأرسلت له ابتسامة مشرقة: «ولمَ لا؟».

كان راقصاً بارعاً، ضمها بخفة، ولم يقترب منها كثيراً. وبينما هما يتحركان كان يتبادل التحية مع الجالسين.

قالت له: «أنت بارع في هذا».

ابتسم بخشونة: «أنا أعمل، والأثرياء يمكن أن يكونوا حساسين جداً، لذا لا يمكن أن تتجاهلي أحد. وحين يصل شخص مثل فروبات إلى البلدة، لن يكون لديك فكرة عمن يسافر معه، لذا يمكن أن يكون الأمر محفوفاً بالمخاطر».

كانت تبتسم وهي تنظر إلى الطاولة الكبيرة التي أشار إليها. بحر من الوجوه، كلها حيوية، تتحدث إلى جيرانها. والكل مسترخ يتمتع بوقت جيد.

الجميع.. ما عدا واحد. وجه أسمر، بارد وساخر، كان يسبح خارج الجمع. رجل لم يكن يتحدث إلى أحد، حتى أنه بدا للحظة، غافلاً عن الشقراء الشابة المتكئة عليه، رجل كان يحدق مباشرة إليها، بعينين ضيقتين متفحصتين.

جمدت الإبتسامة على شفتي پيج، وأحست بأنفاسها تعلق في حنجرتها، وبقلبها المذهول يخفق فجأة. لا.. لا يمكن لهذا أن يحصل.. لا يمكن..

وجاء صوت براد باهتمام: «هل أنت بخير؟».

وكان صوتها خشناً على عكس عادته: «أجل.. أعني.. لا.. على الأقل..».

وصمتت لتكمل: «أتظن أن بالإمكان أن نجلس أرجوك؟».

ـ بالطبع.

والتفت ذراعه حولها تحميها، وكانت ممتنة لذلك وهما يخرجان من حلبة الرقص، لأن ساقيها راحتا ترتجفان تحتها.

أجلسها براد بلطف على كرسيها: «هل أحضر لك شيئاً؟ ما الأمر؟ تبدين وكأنك رأيت شبحاً».

ليس شبحاً.. وإنما شخص شبح حقيقي، وهو موجود هنا في سانت انطوان، لسوء حظها الرهيب.

قالت پيج بسرعة: «أظن أن الطقس هو السبب».

ولوحت بيدها مضيفة: «لقد أصبح خانقاً فجأة».

ارتشفت كأس الماء المثلج التي صبّها لها براد وأكدت له أن الإغماء الخفيف أخذ يمر. وأنها ستكون بخير لو استطاعت الجلوس هادئة لبضع دقائق. وأنها تفضل حقاً أن تكون لوحدها. ثم قالت تحاول اقناعه بالذهاب: «لا بد أن هناك أشخاصاً يجب أن تتكلم معهم.. فاذهب وقم بواجبك الاجتماعي بينما أستعيد هدوئي، أشعر أنني حمقاء..».

ـ أفضل ألا أتركك.

ـ إذاً، ستجعلني أشعر أسوأ مما أنا عليه، أرجوك براد.. قد أذهب في مشوار سريع إلى الشاطىء.. لأجلو رأسي جيداً.

أو قد أهرب.. ولن يجدني أحد مرة أخرى..

وأحس براد بالشك: «هل أنت واثقة من أنك تفضلين أن تكوني وحدك؟».

ـ بشكل قاطع. على أي حال، جاك وآنجيلا سيعودان بعد دقيقة.

وابتسمت له ترجو أن يتركها ويبتعد: «وحين تعود سأكون بخير مرة أخرى. في الواقع، أود البقاء لوحدي».

وبدت كأنها مخدرة.. كامرأة مجنونة.. لكن يبدو أنها نجحت. ولم تنظر لترى إلى أيّ طاولة اتجه براد، لأنها لا تريد أن تعرف. شربت المزيد من الماء، وراحت تحدق إلى ارتعاش شعلة الشمعة خلف الزجاج.. ماذا يقول ذلك المثل القديم؟ «تكلم عن الشيطان، وسيظهر أمامك». منذ بضع ساعات فقط كانت وآنجيلا تتكلمان عن نك ديستري.. وها هو هنا. إلا إذا كانت مخيلتها تتلاعب بها.. وقد اخترعته لتعذبها. كان تفكيرها يدور.. وبسرعة فائقة. هل يمكن أن يحصل ذلك؟ هل تمكّنت منها محنة الأشهر الماضية أخيراً؟

كل ما كان عليها أن تفعله هو أن تنظر إلى هناك.. عبر القاعة.. وستعرف بالتأكيد إذا كان الأمر حقيقياً أم من صنع خيالها، لكنها لم تجرؤ.

تحت غطاء الطاولة، تماسكت قبضتا يديها بضعف.. ماذا دهاها بحق السماء؟ لماذا تتصرف هكذا؟ نك ليس مجرماً مجنوناً خرج يحمل فأسه طلباً للدم. إنه الرجل الذي تزوجته لأسباب عملية، والذي تخطط لطلاقه ما إن يصبح هذا قانونياً.. وهذه ليست مشكلة.. إلا إذا سمحت لها هي بأن تصبح كذلك.

وقالت لنفسها: إنها مجرد صدمة. فبعد كل تلك الأشهر من تجنب أحدهما للآخر، ها هما في ذات النادي الليلي وعلى ذات الجزيرة الكاريبية الصغيرة.. يا لها من صدفة رهيبة.

إن أمنيتها بألا ترى نك ثانية لم تكن في الواقع... صادقة تماماً!

كان يجب أن تتصرف كما يفعل براد، أن تبتسم وتهز رأسها.. وبدلاً من

ذلك تركته يراني أنسحب من حلبة الرقص مشوشة.

أحست بصدرها يضيق، فوقفت. لم تكن جادة حول مشوارها إلى الشاطىء، لكن الفكرة بدت الآن جيدة.. ولم تكن هرباً.. بل مجرد تمالك للذات.

سلم حجري قادها إلى الرمال الفضية اللامعة تحت نور القمر. توقفت عند أسفل السلم، وخلعت حذاءها. لم تكن أغصان النخيل تتحرك فوق الرمال، وهي تسير نحو حافة المياه.. كانت أنفاسها لا تزال سريعة. وكان عليها أن تحارب لتسيطر عليها، وتستعيد سكون نفسها، وتقبل واقع أن القدر قد تلاعب بها في خدعة كريهة.

وإن لم يكن نك مسروراً لرؤيتها، فهو الذي يحتك بأصحاب الملايين وهي العبدة التي دفع ثمنها في انكلترا. لكن هذا كان خيارها. لقد عرض عليها مبلغاً سخياً مقابل قبولها. ولم تكن بحاجة إلى أن تعمل مجدداً.. لكنها رفضت ماله. طوال تلك الأيام المريرة، بقيت تكرر لنفسها كتوبيخ شخصي: لا أريد شيئاً منه.. لا شيء. وحين قبلت على مضض العمل في «هارينغتون هولدينغ» رضيت بمرتب منخفض. أراد والداها أن تنتقل إلى المنزل العائلي المتسع كما فعل شقيقها توبي مع زوجته. لكنها بدلاً من ذلك وجدت منزلاً ريفياً من غرفة نوم واحدة في قرية مجاورة، لتشعر بأن لديها شيئاً من الاستقلال. ونجحت في القيام بعمل حر لإحدى المجلات، تاركة الباب مفتوحاً لاحتمال عودتها.

لقد كانت سنة صعبة، فعدا عن بؤسها الشخصي، كان عملها مع الشركة يشبه القيود المؤلمة أكثر منه العلاقات العامة.. ومنذ تولى توبي إدارة الشركة، بعد مرض أبيهما، لم يعد هناك سوى المشاكل.. أما بالنسبة لتلك الفتاة الغبية التي تزوجها..

وتوقفت هنا، فهي آخر شخص في العالم يمكنه أن يسخر من خيار أحد كشريك زواج، بعد الفوضى التي حولت حياتها إليها.

موجة وافدة داعبت بلطف قدميها الحافيتين، وارتجفت قليلاً. لكن برودة الماء لم تكن شيئاً مقارنة بالثلج الذي في داخلها.

أحست أنها فارغة.. مخدرة. لكن يجب أن تفكر.. أن تقرر ماذا ستقول في حال قرر نك ألا يبقى بعيداً عنها. وافترضت أنه أحد الركاب في يخت آلين فرويات. لكنه حتماً لم يأت إلى هناك للمتعة فقط، بالرغم من وجود تلك الشقراء الجميلة التي كانت تلف نفسها حوله وكأنها وشاح فلا بد أنّ هناك صفقة مالية كبيرة تدور، ستجعل مصرف «ماتيلاند ديستري» يكسب الكثير، وتجعل ثراء نك الشخصي يرتفع إلى مستويات عالية.

ولكن الأمر لا يعنيها.. كذلك وضع نك المالي، أو آخر فتاة يعاشرها، فلا يمكن أن تسمح لكل ذلك أن يقلقها ولو جزئياً. لقد حافظت على الشقّ الخاص بها من الصفقة.. وهي تريد الآن أن تصل الرواية المؤسفة إلى نهايتها، وتسدل الستارة على زواج ما كان يجب أن يجري أصلاً. وفكرت بأنها لا شك قد فقدت عقلها كي تشارك بمثل هذه المسرحية الهزلية.

وأبطأت خطواتها. لقد آن لها أن تعود إلى المطعم. ستقول لآنجي إنها أصيبت بصداع، وتريد العودة إلى «لو روشيه»، فهي بالتأكيد لا تريد أن يجدها براد سارحة مع همس الأمواج، ونور القمر فوق الماء. فقد يعتقد أنها خرجت إلى الشاطىء لتغريه.

ولم تسمعه قادماً.. لكنه كان يملك دائماً القدرة على التحرك كالقط.

مع ذلك، كان موجوداً حين استدارت، وكان كما توقعت.. كما خشيت.. يسد طريقها، ويجعلها تقف مقطوعة الأنفاس أمامه.. دون وسيلة للهرب.

قال بصوت منخفض، وبنبرته الساخرة التي تكرهها: «مساء الخير سيدة ديستري.. أم يجب أن أقول: لقد التقينا تحت نور القمر.. أيتها المتكبرة».

وبدأ يضحك.

* * *

٢ ـ إنه عالم صغير . . .

وقفت پيج دون حراك، ويداها مكورتان في قبضتين إلى جانبيها. . كانت ترتجف في داخلها. . لكنها حدقت إليه وذقنها مرفوع في عدوانية صريحة، وقالت ببرود: «هل الاستشهاد بكلمات هراء هو أفضل ما لديك؟».

قال نك مستهجناً: «شعر شكسبير ليس هراء حبيبتي، ويبدو لي أنه ملائم جداً، نظراً لما يأتي بعده: «. . الجن يثب بعيداً، ولقد أدنأت سلفاً فراشه ومحبته. . .».

أحست بالحرارة تلون وجهها. وكانت ممتنة للعتمة الواقية. . وراح الغضب يتحول إلى غليان في داخلها، فأرادت أن تصرخ في وجهه: وهل تجرؤ على اتهامي بهذا؟ أنت. . من بين كل الناس؟ لكنها لن تتحمل الخوض في هذا الطريق. . وأخذت نفساً عميقاً مهدئاً. وقالت: «ماذا تفعل هنا نك؟».

قال بمودة: «يا لها من صدفة! كنت سأسألك السؤال ذاته وآمل أن تكوني هنا لتعزيز موقع شركة هارينغتون هولدنغ في برنامج تطوير الجزيرة. لقد رأيت أنك هنا الليلة مع واحد من أهم المحركين لعجلة التطوير. . هل علاقتك معه علاقة عمل أم أنها شخصية؟».

ـ لا أعتقد أن لك أي حق لتسأل.

قال بنعومة: «آه. . لكن لي الحق. ولأسباب متعددة. . . أقلها أنني زوجك».

وصمت ليسمح لكلامه أن يصل إلى مسامعها جيداً.

ـ لذا، أرجوك، أخبريني لماذا أنت هنا؟

سيطرت على صوتها بجهد: «في الواقع، أنا هنا في عطلة. . وأفترض أنّ هذا مسموح بين حين وآخر».

ـ وبراد كولتر؟

ـ التقيته اجتماعياً. . إنه صديق.

ـ وهل يكون تطفلاً مني لو سألت منذ متى بدأت هذه. . الصداقة؟

قالت پيج بلهجة دفاعية: «ماذا تعني؟».

ـ أنا أسأل متى وصلت إلى هذه الجنة الرائعة.

عضت شفتها: «منذ ثلاثة أسابيع».

صفّر متعجباً: «وكل هذا على حساب مرتبك من هارينغتون. . أم تتلقين مساعدة. . باسم الصداقة؟».

أجفلت پيج. بطريقة ما عرف نك أن جاك وآنجيلا أعطياها سعراً منخفضاً، بل منخفضاً جداً. لكن كيف تمكن من معرفة هذا؟ أم أن الأمر مجرد تخمين مدروس؟ قالت بحدة: «ولو كان الأمر كذلك؟ فما شأنك؟».

ـ ستجدين أن لي شأناً في أشياء كثيرة.

وصمت لحظة: «إذاً، لست هنا لإتمام صفقة تجارية لحساب شركة العائلة؟».

ـ هارينغتون لا تميل إلى إبرام عقود عبر البحار. . كان يجب أن تعرف هذا.

قال ببطء: «حسن جداً. . هذا أمر يجب أن يعيدوا التفكير فيه. أخبريني: هل كنت على اتصال بالمكتب خلال هذه العطلة؟ هل وصلتك أي رسائل الكترونية عبر المحيط؟».

ردت بتحدٍ: «لا. ولا أتوقع منهم شيئاً. . لا سيّما وأن هذه أول عطلة لي منذ. . .».

وترددت، ثم قالت بسرعة: «منذ أكثر من سنة».

قال: «منذ شهر عسلنا. أليس هذا ما كنت ستقولينه؟».

ـ منذ العطلة التي اضطررنا لأخذها بعد الزواج. فلماذا تسميها اسماً سخيفاً؟

قال متشدقاً: «ربما أنا متمسك بدقة الحديث».

وساد صمت آخر، ثم: «ألم تتلقي حقاً أي اتصال من الشركة؟».

ـ أبداً.. قررت أن أحصل على عطلة حقيقية.

وأبعدت عن ذهنها على الفور آخر شجار لها مع توبي، وقرارها ألا تدعه يعرف أين هي، في ذلك اليوم الذي أعطته فيه آخر اقتراحاتها.

ـ أستطيع القول إنك حققت هذا.. حتى بالنسبة إلى مرحلة رومانسية صغيرة.

ردت بحدة: «شكراً لك.. ويبدو أنك تقضي أيضاً وقتاً طيباً».

قال بصوت ناعم: «لكن المظاهر قد تكون خادعة، ألا تجدينها هكذا؟».

مثلما خدعتني حين جعلتني أعتقد.. وللحظة قصيرة.. ذات ليلة منذ زمن طويل.. أن ذلك الزواج غير الملائم بيننا قد ينجح. وأنه، ربما، قد يكون أكثر من مجرد صفقة عمل.

قالت: «أعتقد أن ما تراه هو في العادة ما تحصل عليه».

وتحركت دون ارتياح. فقد كانت تشعر بأنها في موقف ضعيف وهي تقف هناك حافية القدمين والحذاء في يدها. وأضافت: «هل تعذرني؟ سيتساءل أصدقائي أين أنا. وأنا واثقة من أن جماعتك ستفتقدك أيضاً».

ـ يا لاهتمامك بالآخرين!

وبدا متسلياً، وكأن كلامها لم يخطر بباله: «لكن لدينا أشياء نتكلم عنها».

ـ لا شيء بيننا لا يمكنه الانتظار بضعة أشهر.. سأطلب من محاميّ أن يتصل بمحاميك.

قال متأملاً: «عطلة في الكاريبي وطلاق.. سوف يمر بك وقت ثمين جداً».

فجأة تنبهت حاستها السادسة ودقت أجراس الإنذار. فهذا الكلام كما بدا، يشبه التهديد.. ربما عليها أن تكتشف الأمر؟ فكرت بهذا وأحاسيسها ترتجف. قد تكون هذه المواجهة مزعجة، لكنها لم تستطع إنهاءها بعد.

صمتت وهي تختار كلماتها بحذر: «إنهاء سريع دون أخطاء لاتفاقنا؟ دون

تسوية للأملاك؟ بكل تأكيد لا».

رد بلهجة ساخرة: «ألا تحسبين الآمال المشتتة والأحلام؟ ولا جرح المشاعر؟».

اشتد ضغطها على فمها: «لم تكن هذه ضمن الاتفاق».

وإذا كان هناك أي جرح، فأنا التي تتحمّل تبعاته.

قال ببطء: «ربما أتطلع إلى إعادة التفاوض».

ذلك الارتجاف الداخلي عاد مجدداً. فقالت بسرعة وبرود: «ما من مجال.. فالعقد الأساسي قائم، لكنه لن يستمر لمدة أطول. أريد الخلاص نك.. لذا لا تبدأ بالتلاعب، فلن أتأثر».

ضحك: «هذا كلام قاسٍ حبيبتي. لكن الكلام رخيص.. فهل أنت حقاً مستعدة للمعركة؟».

وخفق قلبها بشدة مرة أخرى: «وهذا أيضاً لم يكن جزءاً من الاتفاق».

أحست وكأن السلسلة تضيق حول عنقها.. فرفعت يداً لتشدها بجنون، وشعرت بالحلقات الصغيرة تدخل في أصابعها.

قال بسخرية: «سمي هذا إعادة تفكير».

قالت بخشونة: «إذاً، أنصحك أن تفكر مرة أخرى».

وتسمرت نظرته على حركتها المتوترة، وقال: «أرى أنك خلعت خاتم الزواج».

قالت: «لست منافقة، ولن أدّعي».

أصبح صوته فجأة شديد البرودة: «لا.. أوافقك على هذا».

وساد صمت قصير، ثم قالت: «نك.. لا داعي لكل هذا. زواجنا لم يكن له أيّ وجود.. إلا على الورق. فلماذا خلق الصعوبات لإنهائه؟».

هز كتفيه: «دعينا نقول إنني أكره الأعمال غير المنتهية».

وفكرت بأسى.. كيف يمكن إنهاء شيء لم يبدأ أبداً..؟

وبصوت مرتفع قالت: «لكنك حصلت على ما تريد، مقعد في مجلس إدارة هارينغتون».

ـ أجل.. والشكر لذلك الاتفاق العائلي الصغير.

وكان لصوته رنة غريبة، كأنها الغضب.

قالت مدافعة: «لقد نجح جيداً.. حتى الآن».

سألها نك ساخراً: «إذن، لماذا جئتم إلي لطلب المال؟ لأن حسابكم نفد في مكان آخر يا زوجتي العزيزة، وتعرفين هذا. قد يكون الذي أسس هارينغتون رجلاً عملاقاً، أما الآن فلا يوجد سوى أقزام».

قالت بحرارة: «كيف تجرؤ على إهانة عائلتي؟».

ـ أحياناً الحقيقة تؤلم بيج.. وكذلك الاستثمار السيء.

أخذت نفساً مهدئاً: «أقترح أن تبحث هذا مع زملائك في مجلس الإدارة. أنا الآن لست سوى موظفة.. ولا أريد حقاً مناقشة المسألة أكثر من هذا، أما بالنسبة لزواجنا الذي لا وجود له.. فقد انتهى. ولا شيء تقوله أو تفعله سيشكّل أي فارق».

قال ببطء: «لكنك مخطئة في هذا.. لأنني لم أنته منك بعد، يا طفلتي. في الواقع.. أنا لم أبدأ بعد».

كان كلاهما يقف مسمّراً. لكن الفراغ بينهما بدا وكأنه تلاشى بطريقة غريبة. واستطاعت تقريباً أن تشعر بدفء أنفاسه على خدها، وتلامس جسده بجسدها.

أصدرت بيج صوتاً صغيراً غير مفهوم، ثم تحركت، وسارت بسرعة، محاولة ألا تركض.

حاولت الحفاظ على مسافة آمنة بينهما، هذا إذا كان هناك أمان بعد.. قطعت الشاطىء، وهي تتعثر قليلاً، ساخطة من قلة لباقتها.. وساخطة أكثر من نك لأنه سبب غضبها.

ولم تنظر إلى الخلف.. لكنها لم تكن مضطرة لذلك. فقد كانت تشعر بعينيه تلهبان ظهرها.. تدمغانها. إلاّ أنها ليست من ممتلكاته.. ولن تكون أبداً.

حياها براد بحماس: «ها أنت. كنا سنرسل فريق تفتيش للبحث عنك».

ردت بيج بخفة قدر استطاعتها: «إنه شاطىء جميل، وليس فيه أمكنة

كثيرة لأضيع فيها».

همست آنجيلا بينما كانت بيج تعود إلى مقعدها: «ماذا يجري؟ كنت ترقصين مع براد، وفي الدقيقة التالية خرجت تجوبين الشاطىء».

ردت بيج همساً: «احتجت إلى بعض الهواء، لدي صداع».

تعاطفت آنجيلا معها فوراً: «هل تريدين إنهاء السهرة؟».

ـ سيكون هذا أفضل. ويجب أن أنهي توضيب حقائبي فأمامي رحلة طويلة غداً.

من زاوية عينها لمحت بيج نك يعود من الشاطىء. للحظة، خطر لها أنه سوف يتقدم إلى طاولتهم، وتصلبت. لكنه سار مباشرة دون أن يرمق أي منهم بنظرة.. وكان اهتمام آنجيلا لحسن الحظ مركزاً عليها.

وفكرت بيج: لن أخرج من المعركة سالمة.

وهي في طريقها إلى الخارج، بعد بضعة دقائق، خاطرت بنظرة سريعة نحو طاولة نك لترى إذا كان رحيلها مشهوداً، لكنه بدا منسجماً جداً مع شقرائه. وهذا أمر مريح.

أمسك براد يدها للحظة طويلة وهو يودّعها وقال: «سأراك غداً».

وابتسمت، محاولة أن تشعر بالاهتمام والامتنان. لكن هذا كان مستحيلاً، فتفكيرها مشوّش. راح جاك وآنجي يتحدّثان بهدوء مع بعضهما مراعاة لصداعها، أما هي فجلست في المقعد الخلفي في العتمة تستعيد بهوس مرات ومرات المشهد على الشاطىء، وتسأل نفسها عما عناه، دون تلقّي الرد. على الأقل، لم تجد جواباً يرضيها، أو حتى يوفر لها شيئاً من الراحة. وقالت لنفسها: لطالما كان نك لغزاً.

لفت ذراعيها حول جسمها وهي ترتجف. إنها تهتز من الداخل، وتشعر بشيء من الغثيان.. إنها الصدمة.. هذا ما في الأمر. كان نك آخر شخص تتوقعه، أو تريد أن تراه. لكن من سخرية القدر أن يكونا في ذات الجزيرة الصغيرة، وفي ذات النادي الليلي، وفي ذات الوقت.

لو أمضوا السهرة في مكان آخر لتجنبته، مثلما كانت تفعل بنجاح طوال

تلك الأشهر. فقد كانت تراقب برنامج زياراته إلى لندن أو إلى المقر الرئيسي للشركة، وترتب بهدوء برنامج عمل لها في مكان آخر. كانت تحرص على أن يأخذها العمل إلى البعيد، في المناسبات التي يكون مقرراً فيها أن يقيم في منزل العائلة. وكان توبي قد تذمر في آخر مناسبة: «بإمكانك بذل جهد أكبر. فبسبب غيابك يتوجب على دنيس أن تسليه، وهو يخيفها كثيراً».

واستعادت پيج في ذهنها عيني زوجة أخيها الزرقاوين وابتسامتها الحاضرة دائماً، وفكرت أن هذا لن يحتاج إلى جهد كبير من جانب نك.

وقالت يومها بصوت هش: «إنها زوجة المدير الإداري توبي.. وهذا ملازم لطبيعة العمل».

ـ لكنها لا تفهم ماذا يجري.. ولماذا أنت غائبة دائماً.

كان هناك إصرار من الجانبين على السرية التامة حين عقدت الصفقة. على أي حال، كان معروفاً في العائلة أن زوجة توبي سطحية ويمكنها أن تملأ بريطانيا بالإشاعات.. وأن همسة واحدة عن زواج پيج غير التقليدي، ستجعلها تركض لتروي القصة.

يومها قالت لأخيها: «حسن جداً.. أنا واثقة من أنك قادر على الخروج بتفسير مقبول، يا أخي العزيز.. فما من طريقة تجعلني أشارك نك السقف ذاته لمجرد أن أحمي رقة أحاسيس دنيس.. ولن يكون نك متحمساً لقضاء المزيد من الوقت معي.. صدقني».

ولم تكن قد قالت أكثر من الحقيقة. وكانت واثقة مما تقول.. إذن لماذا سعى إليها الليلة؟ لماذا ألمح إلى الأحداث كما فعل؟ لقد حافظت على شروط اتفاقهما بدقة. مع ذلك، يبدو الآن، أن نك على وشك أن يضع العصي في الدولاب.

لكنها لن تسمح لهذا أن يحدث، فوجوده في مجلس إدارة هارينغتون، لم يكن عملاً لمدى الحياة. إن أي شخص فيه يمكن أن يصوت ضده ويخرج.. وكون ذلك لم يحدث سابقاً، فهذا لا يمنع حدوثه الآن.

حين عادت إلى «لو روشيه» تقبلت عرض آنجيلا القلق لأقراص مضادة

للألم، وصعدت إلى غرفتها.

كانت حقائبها جاهزة في الواقع. نظرت پيج حولها بعين منتقدة لتجد أن ما تبقى يمكن أن ينتظر إلى الغد، لذا وجدت أنه من الأفضل أن تستحم وتنام باكراً.

سارت إلى طاولة الزينة، وجلست متململة، تدفع شعرها إلى الخلف. كان الوجه الذي ينظر إليها شاحباً متعباً، كما لاحظت متنهدة.. ثم أجفلت وارتفعت يدها إلى عنقها عندما لاحظت أن عقد اللؤلؤ مفقود، فتأوهت.

لا بد أنني قطعت السلسلة حين كنت أتلاعب بها على الشاطىء. وهذا شيء آخر يدفعها لكراهية نك.

بحزن، انتزعت الأقراط من أذنيها. من المفترض أن يمثل اللؤلؤ الدموع.. أليس كذلك؟ لعل فقدانها لعقدها إشارة لها لئلا تضيع المزيد من الوقت في الحزن على الماضي.

من الآن وصاعداً، سوف تتطلع إلى الأمام، وليس إلى الخلف. وسوف تبدأ النظام الجديد بالنوم جيداً.

لكن، من السهل قول ذلك أكثر من فعله. كان الجو في الغرفة ساخناً وثقيلاً، فهزم الجهود التي تقوم بها مروحة السقف.. ووجدت پيج نفسها تتقلب وهي تحاول أن تجد مكاناً بارداً على السرير.

ولأول مرة شعرت بالسرور لعودتها إلى ديارها، فوصول نك أفسد كل شيء، ولا يمكنها إلا أن تكون ممتنة لأنه ظهر في نهاية عطلتها بدلاً من بدايتها.

«أنا لم أنته منك» هذه كانت كلماته. لذا فهناك احتمال كبير بأن يعود ليبحث عنها مجدداً، وأحست بالرضى لأنها تعرف أنه لن يجدها هذه المرة. لكنه كان رضى سريع الزوال.

سانت انطوان ليست كبيرة بما يكفي لكليهما. أقنعت نفسها بهذا بمرح مرير. لكن، ثمة أماكن أكثر للاختباء، والابتعاد عن بقية العائلة. وتستطيع الاعتماد على دعم والدها إذا بدأ نك بإزعاجها.

لكن كل هذا كان غلطتي، فكرت بحزن. ما كان يجب أن أتورط أصلاً.

كان يجب أن تصرف النظر عن الفكرة وتعتبرها ضرباً من الجنون، كما ما كان يجب أن تسمح بأن يداهنها أحد بعذب الكلام لتقبل بوظيفتها. فقد كانت سعيدة حيث كانت تعمل. كان لديها حياة خاصة بها، أما الآن فكل ما تفعله، هو حل مشكلة إثر أخرى.

وذكرت نفسها: هاتان ضربتان، ويجب أن تتأكد جيداً من عدم وجود ثالثة.

متنهدة، استدارت پيج على ظهرها وحدقت في السقف. إنها تحتاج لاستعادة السيطرة على نفسها وبسرعة.

وتذكرت بألم، أول مرة رأته فيها. كانت هذه إحدى الذكريات التي حاولت جاهدة أن تكبتها.. مع ذلك ها هي.. تسخر منها، فهي لا تزال حية في دماغها وكأنها حدثت بالأمس، أو حتى.. الليلة.

كانت حفلة نسائية لمناسبة خطوبة إحدى الفتيات في المجلة، فنظمت بعض الفتيات لقاء لهن في المقهى المحلي للاحتفال بالحدث. وكان على پيج بعض العمل لتنهيه، لذا وصلت متأخرة لتجد الثلاثة الأخريات قد سبقنها إلى الاحتفال.

أعلنت بيكي بصوت مرتفع: «لقد وضعنا علامة على عشرة للموهبة المحلية.. وحتى الآن لم يصل أحد إلى علامة اثنين».

تأوهت پيج في داخلها. لن تكون هذه الأمسية ملائمة لها، لكنها موجودة، ومن أجل ليندساي سوف تتمتع بأفضل ما في السهرة.

كانت طاولتهن في الزاوية تجتذب قدراً من الاهتمام من الرجال.. كان البعض يتسلى والبعض يحاول الاصطياد، والبعض الآخر يتناول الطعام.

ومن بين هؤلاء، لاحظت شخصاً بارزاً، يجلس إلى الطاولة الطويلة مع رجل آخر. كان طويلاً شديد السمرة، وذا وجه مثير للاهتمام، مع فم ساخر بارد. مع ذلك، لم تكن طلعته هي المؤثرة. ثمة شيء ما حوله، ليس من السهل تحديده، يمكنه دائماً جذب الأنظار إلى أي مكان هو فيه. كما كان هناك إحساس بالسلطة، بسيطرة تكاد تكون ملموسة حتى عبر الغرفة المزدحمة.

كل هذا لم يكن له حساب في نظرة الازدراء الموجهة إلى پيج ورفيقاتها. وبينما كانت هي تسجل ما يجري، تحركت نظرته فجأة، مما جعلها مؤقتاً مركز اهتمامه الوحيد. وضاقت عضلات حلقها. لكنه ما لبث أن نظر بعيداً، في حركة تنم عن عدم اكتراث كامل.

وبينما كانت تكتم شهقتها، قالت لها بيكي: «من هو صديقك المتعجرف؟».

هزت پيج كتفيها: «أخبريني أنت».

كشرت بيكي: «حسن جداً.. إنه الأفضل بين زمرة سيئة.. يا إلهي، ما هذا المكان المليء بالأموات».

قالت رونا: «دعونا ننعش الجو إذن. سأعد إلى ثلاثة، ثم نفرغ كؤوسنا، وآخر واحدة تنهي كأسها تنفذ عقوبة.. ما رأيكن بهذا؟».

تأوهت پيج في داخلها.. فهي لا تستطيع شرب العصير بسرعة، لذا ستكون الخاسرة. لكن، بدا من الواضح أنها لو اعترضت فستكون الصوت المعارض الوحيد. لذا من الأسهل مجاراتهن.. والتقطت كأسها تنتظر الإشارة.

وكما توقعت تماماً، كانت هي الأخيرة، وسط الضحك والصراخ.

طالبت ليندساي بلهفة: «إذن، ما هي غرامتها؟ السير في الغرفة دون أن تلمس الأرض؟ أم ماذا؟».

وكانت ابتسامة بيكي خبيثة.

- أفضل من هذا. سوف تذهب إلى السيد المتعجرف الجالس إلى تلك الطاولة هناك، وتعرض عليه عناقاً. هذا سيعلمه ألاّ ينظر إلينا بازدراء.

أجفلت پيج: «أوه.. هيا الآن».

ضحكت رونا تحذرها: «يجب أن تنفذي العقوبة.. وإلا».

ببطء، مدت پيج يدها إلى حقيبتها وأخرجت ورقة نقدية بعشرة جنيهات. كانت تشعر بدوار خفيف وبنبضها المتسارع في عنقها يضرب بإيقاع تحذيري.

الأخريات ما كنّ ليترددن، إنها تعرف هذا. كن سيسرن إليه ويواجهنه. لكن هذا ليس أسلوبها، فالغرباء يخنقونها خجلاً. أما بالنسبة لهذا الغريب

البارد العينين.. حسناً، مجرد الطلب منه سيكون محنة كافية.

أفضل ما تأمل به هو أن يعاملها بازدراء ويتجاهلها. وأسوأ سيناريو هو أن تضطر حقاً إلى معانقته.. أو أن تدعه يعانقها.

وأمرت نفسها: افعليها... ثم تتخلصين من الورطة وتعودين إلى بيتك.

راحت تسير على مهل، وعن قصد. ورتبت أمر ابتسامة، وحاولت مراجعة بضع كلمات لتحفظها. لكن تفكيرها كان فارغاً.

وأدركت أن تقدمها أصبح ملحوظاً، ومن تقصده استدار نصف استدارة يراقبها، بعينين سوداوين ضيقتين، وفم غير مبتسم.

وأسرعت پيج في سيرها متحدية.

جعل الخوف صوتها أجش: «مرحباً».

ارتفع حاجباه: «هل هناك ما أستطيع فعله لك؟».

وسعت ابتسامتها وأخفضت رموشها: «في الواقع أجل».

ورفعت يدها ليرى المال بين أصابعها المتململة: «أود أن أشتري منك عناقاً».

فجأة، توقف كل الحديث حولها. وكان الصمت الذي أحاط بهما مشحوناً بالتسلية، وساد توتر غريب.

قال الرجل متشدقاً: «حقاً؟».

وتراجع إلى الوراء مستنداً إلى الطاولة الطويلة، ونظرته السوداء تأسر نظرتها.. ولمع شيء ما في أعماق عينيه، عرفت پيج أنه السخرية، وشيء آخر لم يكن سهلاً التعرف إليه.

جال ببصره عليها من أعلى إلى أسفل ببطء شديد، متأملاً الفستان الأسود الضيق المرتب، والسترة المماثلة له، والحذاء المنخفض الكعبين.

وأحست بالصدمة. فابتلعت ريقها، وهجرتها آخر ذرة من شجاعتها تحت نظرته المحسوبة المهينة. حدث هذا بشكل مفاجيء وكأنه أحد الأحلام الرهيبة.. وقاومت پيج رغبة بأن تغطي جسمها بيديها. وكان العقل السليم يقول لها أن تبتعد، لكنها لم تستطع الحراك.

شعرت بالعجز بينما كان يضع يده داخل معطفه ويخرج محفظته. وكأنها واقعة تحت تنويم مغناطيسي، رأته يُخرج ورقتين نقديتين من فئة الخمسين جنيهاً، ويضعها أمام وجهها المصدوم.

قال بنعومة: «عرض مضاد.. لكنني سأتوقع أكثر من عناق.. حبيبتي. فما رأيك؟».

واحتاجت إلى رد، إلى رد انتقامي سريع يكون شجاعاً، محكماً، ومدمراً في النهاية، ويجعلها بطلة اللحظة لتسير بعد ذلك مبتعدة وهي منتصرة.

بدلاً من ذلك، سمعت أول همهمة ضحك من الحاضرين. وفي اللحظة ذاتها، أحست بموجة حرارة هائلة تجتاحها من الرأس حتى القدمين وهي تقف مشدوهة أمامه.

ووجدت نفسها عاجزة عن الحراك.. مصلوبة بالحرج مع تصاعد أصوات القهقهة حولها، والتعليقات الساخرة الهامسة.

كل ما استطاعت أن تقوله أخيراً بصوت غريب: «في أحلامك».

وأجبرت نفسها على التحرك، فاستدارت عائدة إلى طاولتها، محاولة بصعوبة ألا تركض، لتخفي ارتباكها وإذلالها.

في الوقت ذاته، كانت مقتنعة بأنها يجب ألا تلوم سوى نفسها، فقد كانت غبية حين سمحت للأخريات بأن يقنعنها بمثل هذه الحركة السخيفة.

كانت عينا ليندساي واسعتين: «ماذا حدث؟ ماذا قال لك؟».

هزت پيج كتفيها، تدس قطعة المال في حقيبتها بيد مرتجفة، بينما لا تزال تشعر بالاحتراق في بشرتها والجفاف في فمها.

حاولت القول بخفة: «إنه حظي، ليس لديه أي حسّ فكاهة.. لقد رفضني».

كان يجب أن تكون ممتنة لذلك على الأقل. وفكرت للحظة بارتجاف، ماذا كان من الممكن أن تشعر لو لمسته، ولو مؤقتاً؟

أدارت بيكي نظرة حاقدة نحو الطاولة المستطيلة: «يا للنذل البائس».

وواجهتها مجموعة من الوجوه الضاحكة تراقبهن فأضافت نافدة الصبر:

«أوه هيا.. دعونا نخرج من هنا لنجد مكاناً أكثر إثارة».

وصححت لها پيج من بين أنفاسها: دعونا فقط نخرج من هنا.

أرادت أن تكون في الخارج لتتنفس هواء نقياً، أو لتجد لنفسها زاوية ملائمة تموت فيها.

تعمّدت ألا تنظر إلى اليمين أو اليسار وهي تسير مع الأخريات نحو الباب. لكن كان هناك دائماً احتمال بأن ذلك الرجل يراقبها وهي تخرج. وجعلت الفكرة بشرتها تقشعر.

ما إن أصبحت على الرصيف حتى رفضت بحزم أن ترافق الأخريات إلى نادٍ تعرفه بيكي، ونادت سيارة أجرة وهي تشعر بالامتنان.

أعطت السائق عنوان شقتها، وغاصت في المقعد الخلفي مغمضة عينيها المتعبتين. لكن صورة الغريب ظهرت فجأة، في الظلام خلف جفنيها. وجلست بغتة، تكتم شهقة خفيفة.

لم تستطع أن تفهم لماذا تشعر بهذا القدر من الانزعاج، لماذا لا تزال ترتجف، وتشعر بالاضطراب في داخلها؟

لقد تصرفت كالبلهاء، وعاملها بالازدراء الذي تستحقه على الأرجح، لكن الأمر لم يصل إلى أبعد من هذا. إذاً، لماذا تبالغ برد فعلها، بينما أفضل ما تفعله هو أن تنسى هذه الحادثة الصغيرة؟

يجب ألا اهتم بهذا الأمر أكثر، وأنا واثقة من أنه لن يفكر به مرة أخرى.. لا بد أنه نسي المسألة كلها، لذا لا سبب يدعوني للاستمرار في تعذيب نفسي. كانت مواجهة عارضة، وهذا كل شيء. لكن الأمر انتهى، ولن تقع عيناي عليه مرة أخرى طالما أنا حية.

أشعرتها هذه الفكرة بشيء من الارتياح. لكن، ولكي تكون آمنة، لن تضع قدمها مرة أخرى في ذلك المقهى.

كنت واثقة جداً.. كنت آمنة. وحدقت پيج بالظلام دون أن ترى شيئاً... لكن، كيف كان لي أن أعرف؟ كيف يمكن لي أن أتكهن بما كان سيحدث؟ وأنه خلال أسابيع قليلة، سيعود إلى حياتي.. ولن يعود غريباً؟

بآهة خفيفة، استدارت لتدفن وجهها في الوسادة.

والآن، ها هو مجدداً.. يظهر، ليذكرها بكل الإذلال والألم اللذين عانتهما على يديه. إن مجرد وجوده تهديد لراحة بالها التي استعادتها حديثاً.

هذا إذا سمحت له.

سأعود إلى موطني غداً، وسيعود نك إلى اليخت، مع أصدقائه والشقراء. ولو لعبت أوراقي بشكل صحيح، فالمرة القادمة التي سنضطر فيها لأن نتقابل، سنكون مطلقين.. وسأكون حرة منه إلى الأبد.

كانت هذه فكرة مطمئنة تنام عليها.

وفي الصباح التالي، كانت تنهي فطورها، حين ظهر جاك في باحة الفندق، والقلق بادٍ عليه.

قال: «لقد اتصل براد.. يبدو أن ثمة عاصفة قادمة، ويريد هيلير أن ينطلق في طريقه قبل إغلاق المطار في سانت ماري».

ـ ما من مشكلة.. أنا جاهزة.

واحتست آخر رشفة من قهوتها بسرعة ووقفت.

صاحت آنجيلا: «لكنني لست مستعدة. لقد ظننت أننا سنقضي صباحاً متكاسلاً لطيفاً معاً».

نظر جاك إليها متسائلاً: «سيكون هذا بإمكانك، لو كانت پيج مستعدة للبقاء إلى أن تنتهي العاصفة.. وتعرفين أن لا أحد منا يريدها أن ترحل».

ـ إذاً، الآن هو الوقت المثالي.. قبل أن تبالغ في الترحيب بي.

واحتضنت پيج آنجيلا بسرعة: «الحياة هنا ليست مملة بكل تأكيد. وأنا لم أضطر قبل الآن للهرب من عاصفة».

ولو أنها لم تكن تحاول الهرب من الطقس. ذهبت پيج لتتفقد غرفتها لآخر مرة.. كان الطقس مظلماً منذ الصباح، والشمس تبدو كقرص برتقالي خلف غلالة من الغيوم الفولاذية. بدا البحر كمرآة رمادية، أما في الحديقة فكان كل شيء ساكناً، وأشجار النخيل لا تزال ترفع رؤوسها، دون حراك.

كان براد بانتظارها حين نزلت إلى الطابق الأرضي.

نادت آنجيلا وهما يبتعدان: «عودي قريباً».

نظر براد إليها مبتسماً: «أوافقها الرأي».

قالت بخفة: «لن تتمكن من إبعادي».

كانت نافذة السيارة مفتوحة وهما متجهان إلى المطار. لكن، لم يكن هناك أي دليل على نسيم يلطف الجو المشحون، وإنما فقط سكون مهدد في الهواء، وكأن الحياة توقفت، بانتظار ما هو قادم.

كانت الإجراءات على مدرج المطار موجزة. ووقف براد معها بينما شحنت حقائبها إلى الطائرة الصغيرة الجميلة المنتظرة.

عانقها مودعاً، وتركها على مضض، قائلاً بلهفة: «لا يزال لديك وقت لتغيري رأيك.. بإمكانك البقاء».

تنهدت في داخلها.

- براد.. قلت لك.. يجب أن أعمل لأعيش.

- وأنا قلت لك.. سأعطيك عملاً في أي وقت تشائين.

واخشوشن صوته: «سأعطيك أي شيء تريدينه. بيج، لا أريد أن أخسرك».

لكن لا مجال لذلك، لأنني أعرف أنني لن أكون لك أصلاً.. ولن ينجح الأمر على أي حال.

وصمتت مفكرة كيف يمكن لها أن تكون متأكدة. كيف تعرف أن هذا الرجل اللطيف الناجح لن يكون لها، بينما معظم النساء من معارفها، كن ليشكرن الله على هذه النعمة.

عانقها مودعاً من جديد، فابتسمت له وصعدت سلم الطائرة.

كان هناك أربعة مقاعد.. كلها غير مشغولة. سألت هيلير: «هل أنا الراكب الوحيد؟»

أرسل لها ابتسامة مرحة: «راكب واحد بعد، ما إن يصعد حتى ننطلق».

ترددت بيج، وهي تحاول التعامل مع قلقها، وإحساسها الغريب بتوقع الشر: «أعتقد أن الوقت لا يزال آمناً للطيران؟».

- ثقي بهيلير العجوز سيدتي. سأعتني بك، وأوصلك إلى سانت ماري ما أن يأتي السيد الآخر.

وصمت: «وها هو الآن».

أخيراً.. وأحست بيج بارتياح. كلما أسرعوا في الانطلاق كلما كان ذلك أفضل لها.

مع دخول الوافد الجديد قمرة الطائرة، رفعت رأسها وقد التوى فمها بابتسامة ترحيب مهذبة. ثم توقفت، وتصلب جسمها فجأة، وخرجت الأنفاس من رئتيها بشهقة تنم عن صدمة صرفة.

قال نك ديستري بصوت ناعم: «حسن جداً.. يا له من عالم صغير».

ودس نفسه في المقعد أمامها وربط الحزام ثم استدار ينظر إليها وابتسامته الحادة لم تصل عينيه.

- صباح الخير حبيبتي.. تهربين مجدداً؟

قالت من بين أسنانها: «أنا هاربة الآن».

وعبثت بحزام مقعدها، تحاول بيأس فكه. يجب أن تخرج.. أن تنزل من الطائرة، لأن العاصفة الاستوائية بديل أفضل من البقاء مع نك حتى في رحلة قصيرة.

لن أستطيع.. لن أتحمل..

لكن، مع انفتاح الحزام أخيراً، سمعت المحرك يدور. وبدأت الطائرة بالتحرك، استعداداً للانطلاق.

وعرفت أن الأوان قد فات.

* * *

٣ ـ الهروب إلى الفخ

أخيراً تمكنت بيج من الكلام: «ماذا تفعل هنا؟».

رد نك بحدة: «أطير إلى سانت ماري. لكن ما هذا السؤال الغريب؟».

ـ لكنك كنت بالأمس على متن يخت أحد الأشخاص.

وأعادت ربط حزام مقعدها بقسوة.

هز كتفيه: «أجل.. لكني لست ملزماً بالبقاء فأنا أريد الوصول إلى سانت ماري، لأبدأ رحلة العودة، ولا أستطيع تحمل البقاء في ميناء سانت انطوان بانتظار انتهاء هذه العاصفة. لذا قررت أن أستخدم خدمات هيلير».

لم تستطع بيج منع نفسها من القول: «أنا واثقة من أنهم سيفتقدونك كثيراً».

وكادت تعض لسانها. فقد بدت وكأنها غيورة، وتأوهت في داخلها.

قال نك متشدقاً: «اسمحي لي أن أرد لك مديحك. رأيت براد كولتر وهو عائد وقد بدا متعباً كروح هائمة. هل واسيته بوداع حنون؟».

قالت بجفاء: «هذا ليس من شأنك».

قال: «هذا أمر مفتوح للنقاش يا حلوتي، فلا نزال متزوجين».

ردت بسرعة: «اسمياً فقط».

ـ وهذا مهم بحد ذاته. لذا فمن الطبيعي أن يكون لي.. شأن.

ـ «الطبيعي» ليست بكلمة يمكن أن نصف بها علاقتنا. لا أستطيع الانتظار إلى أن أضع حداً لهذا الادعاء السخيف برمته.

رد نك ببرود: «إذن لدينا قاسم مشترك. وفي هذه الأثناء، هل من الممكن

أن نعامل بعضنا بشيء من التمدن؟ وإلا، فرحلة العودة ستبدو كأنها الأبدية».

عضت بيج شفتها، وقالت بصوت مرتفع: «أستطيع أن أكون متمدنة، لكنني لن احتمل تهجماً من النوع الذي تعرضت له على الشاطىء ليلة أمس. لا مزيد من النكات حول استعادتي.. هل هذا مفهوم بوضوح؟».

تفرس بها للحظة، ثم هز كتفيه: «لا بأس في هذا بالنسبة لي.. مع أنه من الصعب مقاومة الإغراء، لكن.. سنلغي كل المزاح.. موافقة؟».

نظرت بيج إليه ببرود: «شكراً لك».

أطرق رأسه بسرعة، وأداره بعيداً، ثم مد يده إلى حقيبة أوراقه التي جاء بها معه وأخرج منها كومة أوراق. لقد انتهى الحديث، كما يبدو. وانقطع الاتصال، وهذا بالضبط ما تريده.

وجدت بيج نفسها تواجه مؤخرة رأسه. كان شعره الأسود كثيفاً وناعماً، وبحاجة إلى قص. لكن هذا من ضمن الأمور التي يهملها، وهو إهمال غريب بالنسبة لشخص يدير حياته بمثل هذه الدقة.

على أي حال، ماذا تعرف عنه هي في الواقع؟

لكن، ومرة أخرى، هكذا أرادت أن تكون الأمور بينهما. فبهذه الطريقة لن يكون هناك تفاصيل حميمة تعذب ذاكرتها حين تتم الإجراءات القانونية الأخيرة.

تراجعت في مقعدها، وحوّلت اهتمامها بحزم إلى المدرج الذي كان يختفي بسرعة، بينما تابعت أفكارها الجري بجنون، فالمسألة ليست مسألة ثلاثين دقيقة فقط. أحست وكأن قبضة جليدية أمسكتها من الداخل فهما سيركبان الطائرة ذاتها إلى بريطانيا، وهذا يعني ساعات. لكن، في طائرة ركاب كبيرة من غير المحتمل أن يكونا مكرهين على مثل هذا التقارب غير المرحب به.

وفكرت، بينما فمها يلتوي بسخرية، لن يحصل هذا إلا إذا كنت غير محظوظة، وقام أحدهم بتبديل تذكرتي لتصبح بدرجة رجال الأعمال.

لم يمرّ شهر على أول لقاء كارثي لهما في المقهى، حتى تلقت مخابرة من توبي تقول إن على أفراد العائلة الثلاثة أن يجتمعوا في نهاية الأسبوع التالي.

واعترضت پيج: «ذلك لا يناسبني، كما أن توقيته سيء. فقد كنت أفكر بالسفر إلى باريس، المجلة تقوم بسلسلة مقالات عن مشاكل اللواتي يسافرن وحدهن. و. .».

قاطعها توبي: «ليست المسافرات وحدهن فقط من لديهن مشاكل. فنحن لدينا رجل مال نستقبله، وعلينا أن نلغي كل مشاريعنا الأخرى».

صمت قليلاً ثم أكمل: «ومن المهم حقاً أن نعطيه انطباعاً جيداً».

كشرت پيج: «حقاً؟ إن ما أسمعه لا يعجبني. . فماذا يجري؟».

قال لها توبي: «لا شيء يجعلك تقلقين. نحتاج إلى المزيد من الدعم المالي، ولم يكن من السهل جمعه كما كنا نظن. . لذا فتأثيرنا على الرجل يجب أن يكون هجومياً، نريد أن نؤكد له أننا مؤسسة عائلية متماسكة ذات أساس صلب ويمكن الاعتماد عليها. . فهيا شقيقتي».

وأضاف بلهجة المتوسل: «نحن لا نطلب منك دائماً أن تتورطي، مع أنك عضو في مجلس الإدارة كذلك».

ـ في العادة. . أجل.

كانت تعرف ماذا يخفي هذا، بالطبع. فدنيس تصاب بالذعر لفكرة أنها المضيفة الوحيدة. لكنها مع ذلك لا تسر بتكليف شقيقة زوجها بالمساعدة. .

وقالت لنفسها: أنا حقاً لا أحتاج إلى هذا.

تكلم توبي بصوت ملحّ: «پيج؟ والدي يعتمد عليك وتعرفين هذا. . كلنا نعتمد عليك».

وتذكرت پيج بمرارة ورقة الابتزاز العاطفي الذي لم يفشل يوماً. لكن، لو كان لديها أدنى فكرة عن هذا التحالف الذي يتم تدبيره وعن كيفية سير الأمور، لذهبت إلى باريس ولم تعد.

بدلاً من هذا، تركت العمل مبكرة يوم الجمعة وقادت سيارتها إلى «پربورز هامبتون»، وكأنها الحمل السائر إلى الذبح.

كانت دنيس تتصرف بجنون فتجوب المنزل، وتعطي الخدم أوامر ثم تلغيها مع النفس التالي. حيّت شقيقة زوجها بمشاكسة: «ها أنت إذن، شكراً لله. . .

لم يصل الضيف بعد، لكن يكاد كل شيء ينقلب إلى كارثة. لقد أعطيته الغرفة الزرقاء، لكن توبي قال إنه كان يجب إعطاؤه الجناح الجنوبي. ولست أدري إذا كان لدي الوقت لأغير كل شيء».

وبرز فمها في تكشيرة: «والسيدة نيكسون غاضبة منذ وصول متعهدي الطعام وأنا مذعورة من أن تقدم استقالتها».

قالت پيج بخشونة: «هذا أمر غير محتمل. إنها تكره الطهو لحفلات العشاء الرسمية. . والغرفة الزرقاء لا بأس بها، إنه رجل مال، وليس زائراً ملكياً».

رفعت دنيس رأسها ذا الشعر الأشقر: «لن تقولي هذا لو سمعت توبي ووالدك، يجب أن يكون كل شيء على ما يرام. لقد سألت توبي عما إذا كان علي أن أضع زهوراً في غرفته، وكاد يقطع رأسي. . قال لي ألا أزعجه بالأمور التافهة، لكن كيف لي أن أعرف ماذا سأفعل إذا لم يقل لي؟».

قالت پيج محاولة تهدئتها: «لا بد أن الأمر صعب عليك جداً. لو كنت مكانك لوضعت الزهور، وإذا لم تعجبه، فستعجب زوجته على الأرجح».

قطبت دنيس وهي تحاول أن تتذكر: «لا أظن أنه متزوج. . وهي بالتأكيد لن ترافقه».

وبدت عليها نظرة رعب: «على الأقل، لا أظن هذا. هل أسأل توبي؟ هل أضع مناشف زيادة في حمامه؟».

ربتت پيج على ذراع دنيس: «أعتقد أنه يجب أن تتركي الأمور كما هي. . وأنا واثقة من أن كل شيء سيكون على ما يرام».

هزت دنيس كتفيها وهي تتحرك مجدداً: «هذا قول سهل عليك، فكل ما عليك أن تفعليه هو الحضور».

وعضت پيج شفتها بقسوة، فقد أنهت عمل يوم كامل في فترة الصباح لتصل في الوقت المحدد. إلا أنها قالت لنفسها باقتناع إن هذه ليست غلطة دنيس، فهي لم تتدرب لتدير منزلاً كبيراً وتتعامل مع ضيوف صعبي المراس. لكنها حين تزوجت وجدت أنه يتوقع منها أن تحلّ مكان حماتها الراحلة، التي كانت مضيفة فاتنة ومؤهلة، والتي كانت ستتصرف بهدوء في موقف مماثل.

ولم يكن توتّر توبي الملحوظ مساعداً أبداً. فكرت بيج بهذا عابسة وهي تفرغ حقيبتها في غرفتها.. فماذا يجري بحق السماء؟

أخرجت الفستان الذي سترتديه للعشاء من الأوراق التي تغلفه، وعلقته في الخزانة. كان الفستان من الحرير العاجي القاتم، والياقة تلامس عظمتي الكتفين من الأمام، لكنها واسعة من الخلف.

ملست بيج الطيات الحريرية بيد ساخرة وهي تفكر: من الأفضل ألا أكون متطيرة.

دقة على الباب أعلنت وصول دنيس التي بدت مشحونة. قالت هامسة: «لقد وصل لتوه، ضعي هذه الازهار في غرفته لأجلي بيج. سيقتلني توبي إذا لم أكن موجودة لاستقباله».

وتفرست في ملابس بيج العادية، وكانت ترتدي بنطلوناً أسود وقميصاً أبيض اللون: «هل هذا ما سترتدينه؟».

وافقت بيج بهدوء: «أجل.. هذا ما أفكر فيه، فأين الخطأ في ذلك؟».

ترددت دنيس: «قد يبدو وكأنك لم تبذلي جهداً».

ـ وهذا أفضل من الجهد الكبير.

ـ حسناً.. لست أدري ما سيقول توبي ووالدك.. من المهم جداً لنا جميعاً أن تسير الأمور بشكل جيد، ومن المفترض أن تمدي يد المساعدة.

قالت بيج متوترة: «أوه.. بحق الله. ما هذا الضجيج السخيف ومن هو هذا الرجل؟».

لكن دنيس كانت قد غادرت الغرفة، تتمتم شاردة الذهن.

مررت بيج مشطاً في شعرها، وأضافت لمسة لون على فمها. لم تكن مستعدة لتغيير ملابسها، فعلى الضيف أن يقبلها كما هي.. وهزت كتفيها.

مع ذلك، لم تكن كل تكهنات دنيس خاطئة. دخلت بيج إلى الغرفة الزرقاء بعد بضع دقائق، وهي في مؤخرة المنزل، وتطل على حديقة أنيقة. كانت تعتقد على الدوام أنها ألطف غرفة للضيوف.

كانت الجدران مدهونة بلون أزرق ناعم كالخزف، أما الستائر ومفارش

السرير فمن اللون عينه.

وضعت بيج الزهور بحرص فوق خزانة الملابس ثم توجهت إلى النافذة لتفتحها قليلاً. كانت العصافير تغرد، واستطاعت أن تشم رائحة العشب المجزوز حديثاً.

أخذت نفساً عميقاً راضياً. وبينما كانت تستدير نحو الباب، سمعت أصواتاً في الخارج، فتوقفت مجفلة.

اللعنة.. لقد جاء توبي بالضيف مباشرة إلى غرفته بدلاً من تقديم الشاي له في غرفة الاستقبال كما توقعت. وآخر شيء كانت تريده، أن يجدها تتسكع في غرفته.

للحظة مجنونة، فكرت بأن تختبىء في الحمام. لكن العقل السليم ذكرها أن هذا على الأرجح أول مكان سيدخله.. وهذا ما سيجعل الوضع أكثر سوءاً.

إن أفضل ما تفعله هو أن تمرر الموقف كله بابتسامة. على أي حال، لم تفعل ما تعتذر لأجله. ولو أن هذا ليس التعارف الذي كانت تتوقعه.

مع انفتاح الباب، رفعت ذقنها، ورتبت أساريرها بشكل مرضٍ.

كان توبي يقول بنبرة مداهنة تكرهها بيج: «نأمل أن تكون مرتاحاً هنا».

ـ شكراً لك، أنا واثق من هذا.

عرفت الصوت العميق الأجش المتشدق على الفور، فصدمها.

وقفت بيج مسمّرة في مكانها، وشفتاها منفرجتان في شهقة رعب صرفة، غير مصدقة.. لكن لا مجال للخطأ..

واقفاً إلى جانب توبي في الباب، عيناه السوداوان لامعتان بالتسلية، رأت معذبها الذي عرفته في المقهى.

وأضاف بنعومة: «سوف يُعتنى بي كما هو واضح».

وأحست بيج بحريق الحرج على بشرتها.

قطب توبي: «بيج.. ماذا تفعلين هنا؟».

ـ طلبت مني دنيس أن أتأكد من أن كل شيء في مكانه.

لكن صوتها بدا مخنوقاً.

استدار توبي إلى رفيقه: «لا أعتقد أنك التقيت بشقيقتي.. بيج، هذا نيكولاس ديستراي، من شركة ميتلاند ديستراي».

قومت بيج كتفيها، وأحست كأن ابتسامتها مسمّرة مكانها: «كيف حالك سيد ديستراي».

أبقي الأمر مهذباً.. ابقيه رسمياً.. ربما سيجاريك.

ـ في الواقع، آنسة هارينغتون، لقد التقينا من قبل.

إذن نيكولاس ديستراي ينوي الاستمتاع بلعبته! واستدار إلى توبي: «عرضت عليّ شقيقتك صفقة مالية لكن الصفقة فشلت، وهذا أمر ندمت عليه».

دهش توبي: «حقاً؟ لم تذكري هذا لي يا شقيقتي».

قالت: «لم أربط المسألة بشكل جيد قبل الآن، سيد ديستراي.. وهذا أمر سأندم عليه كذلك».

ـ أرجوك.. نادني نك. فعلى أيّ حال، نحن صديقان قديمان.

وتشوقت لتقول له أن يذهب إلى الجحيم.. لكنها لن تستطيع. وإذا كان هنا للقيام بصفقة هامة، فعليها أن تبقى وتتحمل كل تصرفاته.

وتساءلت أي عذر يمكن أن تختلقه لتقصر مدة زيارتها وتعود إلى لندن.. ثم رأت ابتسامته السريعة وأدركت أنه قرأ أفكارها بوضوح.

عليها أن تبقى وتتحمل.

قال توبي يكسر الصمت المتوتر، في محاولة غير سهلة ليكون مرحاً: «حسن جداً.. نك.. سنتركك تفرغ حقيبتك بهدوء. انضم إلينا في غرفة الاستقبال حين تكون مستعداً».

كان نك ديستراي لا يزال يراقب بيج، ولمعان غريب في عينيه.

ـ ألن تحبي أن تبقي آنسة هارينغتون.. وتمدي لي يد المساعدة؟

والتقط حقيبة سفره ليرميها فوق السرير العريض.

بدا ما قاله طلباً معقولاً. لكن بيج فهمت ما عناه..

قال توبي بشيء من الارتباك: «حسن جداً. بالطبع، إذا استطاعت بيج

المساعدة».

نظرت إلى نك ديستراي نظرة شرسة، وقالت بوضوح وبرود: «أعتقد أن زوجة أخي تنتظرني سيد ديستراي. لكن يسرني أن أرسل لك مدبرة منزلنا، إذا شعرت أنك بحاجة إلى مساعدة».

اتسعت بسمته: «سأناضل وأتدبر أمري بطريقة ما».

ردت بيج بصلابة: «أنا واثقة. والآن، أرجو أن تعذرني».

لحق بها توبي عند السلم: «عم كان كل هذا؟ وأين التقيت نك ديستراي؟».

هزت كتفيها: «في مكان ما في المدينة كما أعتقد، من يدري؟ واضح أن ذاكرته أفضل من ذاكرتي».

ـ حسن جداً. يبدو أنك تركت لديه انطباعاً.. ربما نستطيع الاستفادة منه.

وصمت قليلاً: «لا تنسي أهمية نهاية هذا الأسبوع لنا جميعاً.. أليس كذلك؟».

ردت متجهمة: «أشك في أن تتاح لي فرصة لكي أنسى.. إذ يبدو وكأن الجميع يسعى لتذكيري».

ونظرت إليه شزراً: «ماذا يجري في هارينغتون هولدنغ، توبي؟ أي نوع من المشاكل نواجه لنحتاج شخصاً مثل نك ديستراي لتقديم الحل.. المسألة كلها تقلقني».

قال توبي على الفور: «حسن جداً.. لا داعي للقلق.. لقد واجهنا بضع نكسات، أعترف بهذا. لكن لا شيء لا نستطيع التغلب عليه إذا تكاتفنا».

ـ وأنت لا ترغب في وصف هذه «النكسات» بالتفصيل لي.. لمجرد أن أعرف ماذا نواجه؟

قال دونما اكتراث: «في الواقع ليس الوقت ملائماً الآن. ثم أنك لم تهتمي بشؤون الشركة من قبل».

قالت بيج ببطء: «لا.. لكنني بدأت أرى أن هذا خطأ».

قرب باب غرفة الاستقبال، توقفت مترددة: «نوبي.. لا تعتمد علي لأكسب ودّ نك ديستراي.. وأرجوك أن تصدق أننا لن نكون صديقين أبداً».

قال بقوة: «لكننا لن نستطيع تحمّل معاداته. وربما يجب أن تتذكري هذا».

وسار مبتعداً، ليتركها تحدق إليه، وقلق جديد يتملّكها.

لم يكن وقت الشاي أسهل وجبة تمر بها پيج. لكن، كان عليها أن تعترف أن أخلاق نك ديستراي، لا تشوبها شائبة، فلم يبدِ أيّ ملاحظات حادة تجعلها تتألم. بدلاً من ذلك، كان يتكلم في مواضيع مختلفة بتسلية وذكاء، حتى أن دنيس بدأت تسترخي قليلاً تحت تأثير فتنته.

وفكرت پيج، إن سماعه يتكلم يجعل المرء يعتقد أن هذه مناسبة اجتماعية. مع أن ذلك غير حقيقي.

وقالت لنفسها بتململ: «ربما كان من الأفضل لي لو اهتممت أكثر بعمل الشركة. لكن، لم يشجعني أحد على هذا.. أو على التطفل على ما يعتبر دائماً عالم الرجل».

القرن الواحد والعشرين لم يغير شيئاً في تصرّف ذكور أسرة هارينغتون. وكانت هي أول فتاة تولد في العائلة منذ أيام كريسين العجوز، فتدللت، وأفسدت، وأبعدت بلطف عما كان يُعتبر عملاً حقيقياً في الحياة.. العمل الأساسي في تطوير البناء الذي لطالما تخصصت فيه أسرة هارينغتون.

وفكرت پيج: إذا كنا نواجه حقاً متاعب جدية، فربما حان الوقت لينظروا إلي بجدية كذلك.

وبينما كانت تنحني إلى الأمام لتضع فنجانها الفارغ على الطاولة، أدركت فجأة أنها مراقبة. ورفعت نظرها لتلتقي نظرة نك ديستراي المقيّمة.. كان هناك ابتسامة شاحبة على فمه الصارم، وسرت رجفة غريبة على امتداد عمودها الفقري.

وللحظة وجيزة، تلاشى الضحك والحديث في الغرفة. وأحست پيج به، ولا شيء غيره، وكأنهما مغلفان معاً داخل وعاء زجاجي واحد..

أحست بفمها يجف، وتحركت بعنف، تلتقط طبق الكعك وتقدمه لوالدها، لتفعل أي شيء.. أي شيء.. لمجرد أن تكسر الجمود.

ترددت لفترة طويلة ذلك المساء قبل أن ترتدي الفستان العاجي اللون، ثم أقنعت نفسها أنها سخيفة. إنها ترتديه لنفسها، وبالتأكيد ليس من أجل نك ديستراي. وأدركت أنها تمادت في ردة فعلها وهي في الطابق الأسفل. كانت لا تزال تشعر بالإذلال الذي عانته على يديه في أول لقاء بينهما.. وكان هذا هو التفسير الوحيد، وهذا أمر ستضطر إلى التعامل معه لو أتيحت لها الفرصة. وفكرت بشيء من التحدّي: أبدو جيدة.. ورفعت شعرها وتركت بضع خصلات حريرية تنفلت.

قالت لصورتها في المرآة مع هزة رأس موافقة: «ستكونين على ما يرام».

نزلت ببطء إلى الطابق الأرضي، وتوقفت أمام باب غرفة الاستقبال المفتوح لتأخذ نفساً عميقاً مهدئاً. وكانت الغرفة فارغة إلا من نك ديستراي، الذي وقف قرب النوافذ الزجاجية يتطلع إلى الحديقة. كان ظهره نحوها، وبدا أنه مستغرق في التفكير. تراجعت پيج على الفور، لكن، ومن دون أن ينظر حوله، قال: «يبدو أنني أسوأ كابوس تواجهه مضيفة.. الضيف الذي ينزل إلى الطابق الأرضي أولاً».

تقدمت پيج دون إرادة منها وقالت: «لا.. لا، حقاً. لا أعرف أين هم».

ونظرت حولها وكأنها ستجدهم مختبئين خلف الصوفا أو تحت الطاولة.

قال نك: «إنهم يعقدون مجلساً حربياً في مكان ما».

واستدار.. وازدادت حدة النظرة السوداء وهو يتطلع إليها. كما زادت سترة العشاء الرسمية وربطة العنق السوداء من جاذبيته الرهيبة، لكنها لم تفلح في إخفاء الطاقة الفجة لهذا الرجل، مهما حاول ابقاءها مكبوتة بشدة، وهذا ما أربك پيج وأزعجها.. وزاد من قناعتها أن كل هذه الأناقة والسحر ليست سوى واجهة، وأنها تخفي نمراً مفترساً.

وأكمل: «ألم يدعوك للانضمام إلى مشاوراتهما؟».

ـ لا.. وهل يجب أن أدعى؟

ـ أنت عضو في مجلس إدارة هارينغتون.

قالت: «أجل.. لكن هذا لا معنى له في مثل حالتي. بمجرد أن تكون فرداً من الأسرة فلا مجال للهرب.. لقد حرص جدي الأكبر كريسين على هذا».

قال بصوت منخفض: «لقد فعل هذا حقاً، هل يعرف أحد لماذا؟».

ـ لأنه كان مصمماً على أن تبقى الشركة بين يدي ذريته وأن لا يخطفها الغرباء، مهما كانوا أثرياء وأقوياء.

وصمتت لتسمح له بأن يتفهم ما تقوله، ثم ابتسمت شبه ابتسامة: «هل أحضر لك ما تشربه؟».

ـ شكراً لك.. أحب أن أشرب عصير فاكهة مع ثلج.

تحركت پيج نحو الطاولة الجانبية وصبت كأساً وأضافت الثلج. واستدارت لتجد أن نك قد تقدم في الغرفة ووقف خلفها مباشرة.

أجفلت قليلاً: «أوه».

ثم هدأت نفسها وهي تعطيه الكأس: «أرجو أن يعجبك هذا».

وراقبها وهي تصب لنفسها كأس عصير مختلف: «يبدو لي لذيذاً.. على شرف ماذا ستشرب؟».

رفعت پيج كأسها: «لمَ لا نشرب نخب جدي الأكبر كريسين؟».

ـ كما تشائين.. ألا تجدين تصرفه غير منطقي قليلاً.. بالنسبة لعصرنا هذا؟

قالت كاذبة: «ليس بشكل خاص.. طالما هناك أفراد من عائلة هارينغتون، فلماذا لا يديرون شركتهم الخاصة؟ على أيّ حال، أنت جئت من ميتلاند ديستراي.. وأفترض أن هناك واحداً من أسرة ميتلاند؟».

ـ بكل تأكيد.. فآخر مرة فتشت، وجدت اثنين.

ـ حسن جداً...

وأخذت رشفة كبيرة من العصير: «وأنا واثقة من أنك ستتوقع من ابنك أن يستلم زمام الأمور منك حين يحين الوقت».

قال ببطء: «أشك في أن يبقى هذا لابني.. هذا إذا كان لي إبن».

ـ ألا تريد عائلة؟

ـ في يوم ما. لكن الإجراء التمهيدي لهذا هو أن أجد زوجة.. وحتى الآن كنت مشغولاً جداً.

ـ كن حذراً سيد ديستراي.. تعرف ماذا يقال عن العمل من دون مرح.

ابتسم، وأخذ رشفة من العصير: «أوه.. أنا أمرح آنسة هارينغتون، متى وكيفما أريد».

وتأملتها عيناه ببطء، وأحست پيج ببشرتها تسخن تحت نظرته.

سارت بسرعة إلى المدفأة الفارغة، ووقفت عند أحد جانبيها، ولحق بها نك، ليحتل الجانب المقابل. كانت تريد فرصة لمواجهته. وهذه هي الفرصة المناسبة.

وفكرت.. احذري.

قالت بصوت مرتفع: «في الواقع، يجب أن أشكرك».

رفع حاجبيه: «أنت تفاجئيني.. لماذا؟».

ـ لأنك لم تقل لعائلتي الحقيقة عن أول لقاء لنا.

وسمحت لنفسها بابتسامة خشنة وهزة كتف في محاولة لتلطيف الجو بينهما.

ـ لم تكن تلك من ذكرياتي الرائعة.. وأعتذر عن كل الهراء الأرعن.

ـ الحق على رفاقك بكل تأكيد.

وخفق قلبها بسرعة.. إلى أي مدى كان يراقبهن؟

وشاب صوتها حدة بسيطة: «ما أحاول قوله إنني لست معتادة على مخاطبة الغرباء وطلب عناق منهم».

قال بهدوء: «كانت المرة الأولى بالنسبة لي أيضاً.. على أيّ حال، بصراحة.. كان بإمكانك أن تنجحي لو أنك لم تلوحي لي بالمال وكأنه علم المعركة».

للحظة تحول الصمت بينهما إلى توتر، ثم استعادت پيج رباطة جأشها.

قالت ببرود: «شكراً لك.. لكنني لن أقبل أي تحد أرعن في المستقبل

المنظور».

ابتسم لها: «وستكون الحياة أكثر ظلماً.. ألا تتذكرين: العمل دون مرح؟».

احتست پيج العصير وكأنه السم، ثم انفتح الباب ودخل والدها.

ابتسم فرانسيس هارينغتون لهما: «يا بني العزيز، أنا آسف جداً، لن أسامح نفسي على إبقائك منتظراً.. وأرجو أن تكون پيج قد اعتنت بك؟».

قال نك ديستراي بصوت منخفض: «أوه.. أجل. لقد تسليت جيداً، شكراً لك».

ـ ممتاز. أرى أن الطقس سيكون رائعاً غداً.. هل ذكر لك ابني أن لدينا ملعب تنس؟

وتابع حديثه بلطف، بينما استدارت پيج مبتعدة، ممتنة لأن ورطتها انتهت أخيراً. لكنها كانت تعرف في قرارة قلبها أن تلك الورطة لن تنتهي قبل بعد ظهر يوم الأحد.

ولدهشة پيج، قدم العشاء في غرفة طعام العائلة الصغيرة الحجم، وعلى طاولتها المستديرة الحميمة. وغاص قلبها حين عرفت أنها ستجلس قرب نك.

أمسك الكرسي لها وهي تجلس، فلامست يداه بشرة ظهرها. كانت أقصر لمسة ممكنة، مع ذلك أحست بها في عظامها. وارتجفت أصابعها وهي تفتح منديل المائدة.

كان الحساء لذيذاً، لكن پيج بالكاد ذاقت ملعقة منه. ولارتياحها، أنهى نك أول طبق له وهو يتحدث إلى دنيس الجالسة إلى جانبه الآخر. في الماضي كانت پيج تتوتر لسماع صوت ضحكة زوجة أخيها الرنانة، لكنها الآن رحبت بها وأملت مخلصة أن تتابع دنيس أسر اهتمامه لما تبقى من الوجبة.

لكن آمالها خابت. فمع تغيير الأطباق، قال نك بصوت ناعم: «استرخي».

ـ أنا بخير.

ـ أنت ترتجفين مثل الأوتار في الأوركسترا.

عضت شفتها، تنظر إلى الطبق أمامها: «لا تكن سخيفاً».

ـ إذا كنت تجدين عطلة الأسبوع هذه مشكلة، فلماذا وافقت على المجيء؟

ـ لم يكن لديّ خيار.

ـ عائلة هارينغتون تلجأ إلى التماسك العائلي حين تشعر بتهديد.

ـ نحن نؤمن بالولاء العائلي.. بكل تأكيد.

ـ وإلى أي مدى أنت مستعدة لترك هذا الولاء يأخذك آنسة هارينغتون؟ أم تسمحين لي أن أناديك پيج؟

ـ مرة أخرى، أشك أن يكون لدّي الخيار.

رد بشيء من الفتور في صوته: «وأعتقد أن هذا يرد على سؤالي كليهما».

كانت تحضر نفسها لمزيد من التهجمات حين عاد مرة أخرى إلى دنيس.

وبينما كانت پيج تلتقط شوكتها، أحست أن والدها يراقبها بلهفة من الجهة المقابلة للمائدة، فتوقفت مترددة، ورفعت حاجبيها متسائلة، لكنه أشاح بوجهه وبدأ الحديث مع توبي. ماذا يجري هنا؟ وأخذت تتناول قطعة السلمون. لقد طلب منها المساعدة في تسلية ضيوف يصعب ارضاؤهم من قبل.. مع ذلك، كانت كل غريزة فيها تقول لها إن هذه المناسبة مختلفة بطريقة ما، وإن هناك برنامج عمل سري، وهي الوحيدة التي تجهله.

وقالت لنفسها: يبدو أن الأمور أسوأ مما كنت أظن.. لكن، لماذا؟

حين قُدم الطبق الرئيسي، استدار نك مجدداً إليها. وعلى الفور، تصلبت. لكن لدهشتها، بدأ الحديث عن الكتب والمسرح، وبما أن هذين الموضوعين من اهتماماتها، تمكنت من مجاراته. وكان له آراء خاصة، لكنه لم يسع لفرضها، وبدا مهتماً أكثر بما تشعر وتفكر به.. ولفترة قصيرة على الأقل، وجدت پيج أنهما قريبان من التناغم قدر الإمكان.

على أي حال، أحست بالارتياح حين انتهت الوجبة، وغادرت مع دنيس إلى غرفة الاستقبال لتترك الرجال يدخنون السيكار ويشربون القهوة. لقد تم التعاطي مع الأمور التمهيدية.. ويمكن للأمور الرئيسية الآن أن تبدأ.

شغلت دنيس نفسها بصب القهوة: «أعتقد أن الأمور تسير على ما يرام،

ألا تظنين هذا؟ لكنني آمل ألا يصبح الرجل ضيفاً مستديماً..».

- يبدو أنك اتفقت معه جيداً.

ازداد عمق عبوس دنيس: «أعترف أنه رائع.. لكن حتى وهو يتحدث معك، لا تعرفين بماذا يفكر.. وأكره هذا، فأنا أعرف دائماً بماذا يفكر توبي، حتى لو لم يعجبني هذا كثيراً».

هزت پيج كتفيها دون التزام، وتمتمت: «أتمنى فقط لو أني فراشة على الجدار».

نظرت دنيس إليها باستغراب: «ماذا.. وتستمعين إلى كل تلك الأمور العملية المملة؟».

قالت پيج بسخرية: «لدي إحساس أن الحديث أكثر أهمية هذه المرة».

وصمتت قليلاً: «دنيس.. ألا يكلمك توبي أبداً عما يجري؟».

حركت دنيس أنفها: «ليس حقاً. لكنني لا أظن أن الأمور تسير بصورة جيدة. هناك مهندسة ديكور جديدة، وحين اقترحت أن نطلب منها تغيير ديكور هذه الغرفة غضب مني توبي، وقال إنه ليس مصنوعاً من المال فقط».

نظرت پيج حولها: «فهمت.. لكنني كنت أظن أنكم بدّلتم ديكورها منذ سنتين».

- هذا صحيح. لكنها تبدو قديمة الآن، ومن المهم جداً وجود خلفية مناسبة للاستقبالات، ولطالما فهم توبي هذا من قبل. لكنه هذه السنة لم يتحدث عن شيء سوى توفير المصاريف.. وأشعر بالغثيان لسماعي هذا.

وسعت پيج إلى الاصطياد في المياه العكرة: «لقد أعجبني حقاً ما فعلته بالغرفة الزرقاء».

- هل أعجبك حقاً؟

وانطلقت دنيس بلهفة في الحديث عن الألوان والأقمشة، تاركة پيج تتعارك مع أفكارها المضطربة.

لم يكن نك ديستراي برأيها المنقذ، بل السلاّب المفترس، الذي يسعى إلى التهام ما يستطيع أن يلتهم.. وأدانت نفسها لأن خيالها خصب أكثر من

اللازم.

لكنها لم تشك أبداً في أنه قادر على عقد صفقة قاسية.. وقد تجد دنيس كل خطط تغيير ديكور القاعة الكبرى متوقفة إلى أجل غير محدد، وقد تضطر إلى التمسك بسيارة البورش الحالية، وأن ترتدي الفستان نفسه مرتين.. وهذا قدر أسوأ من الموت.

وتوقفت هنا، تشعر بالخجل من نفسها. فعلى أي حال لم يختر توبي أن يتزوج خبيرة اقتصاد، ولا حاول يوماً أن يكبت تطرف دنيس.. حتى الآن.

وبطريقة ما، كنت بالسوء ذاته، الشركة وهذا المنزل، كانا دائماً عش الأمان لي، وهذا ما يجعل كل ادعاءاتي بالاستقلالية تبدو مثيرة للشفقة.

لكن، من الآن وصاعداً، لن آخذ شيئاً على أنه من المسلّمات. وأنا أحتاج لأن أكلم والدي لأعرف كيف تجري الأمور حقاً.

وللحظة فقط، سمحت لنفسها أن تفكر بأسوأ سيناريو، وأن هارينغتون قد توضع تحت الحراسة القضائية، وأن كل شيء بما فيه هذا المنزل، يمكن أن يضيع.

وفكرت ببرود: هذا ما لا يمكن السماح بحدوثه.. وستقوم بما في وسعها لمنعه. ومهما لزم الأمر.. مهما لزم.

* * *

٤ ـ صفقة وزواج

قالت پيج لنفسها وهي تتطلع إلى البحر: كان يجب أن أعرف.. كان يجب أن أدرك ما هو قادم.. كل التلميحات كانت موجودة، لكنني لم أصدق.. ولم أستطع التصديق أن مثل هذا الأمر ممكن، وأنهم قد يطلبون مني فعل.. هذا. أو أنني سأوافق..

كانت غريزتها تحثها على الهرب.. لكن الواجب العائلي أبقاها مقيدة بالسلاسل. تلك الليلة، طال الوقت كثيراً في غرفة الاستقبال.

سألت دنيس بنكد: «كم سيبقون بعد؟».

ونظرت إلى ساعة يدها الذهبية: «ما هذا الذي يستطيعون مناقشته طوال هذا الوقت؟».

استدارت دنيس نحوها بغضب: «اجلسي بحق السماء. كل هذا السير يجعلني متوترة».

توقفت پيج: «أنا آسفة لأنني أنا أيضاً متوترة. في الواقع، لدي صداع خفيف.. وأعتقد أنني سأذهب إلى النوم».

قالت دنيس على الفور: «أوه.. أيتها المسكينة.. هل ترغبين ببعض من أقراصي الخاصة؟ إنها مذهلة، كما تعرفين، كنت أصاب بأفظع أنواع الصداع».

ابتسمت پيج بجهد: «راحة ليلية جيدة، هذا كل ما أحتاجه. شكراً لك، هلاّ اعتذرت للآخرين؟».

ردت دنيس على مضض: «أجل.. لكنني لا أعتقد أن توبي سيكون

راضياً، كان يعتمد عليك لتكوني لطيفة مع السيد ديستراي».

ـ أخشى أن يكون هذا أملاً يائساً.

واتجهت إلى الباب.

صاحت دنيس: «لكنني لا أريد أن أُترك معه».

ردت پيج من فوق كتفها: «إذن، سأتحجج بنوبة صداع قوية لو كنت مكانك.. ليلة سعيدة».

في غرفتها، خلعت الفستان وارتدت روب المنزل ثم حلت شعرها ومشطته.

كان الصداع محض خيال، لكن من السهل جداً أن يصبح واقعاً.. فتوتر ذلك المساء تملك حقاً بها.

أراحت كتفيها وفكرت: لا أستطيع فعل شيء.. ما عدا الانضمام إلى المرح غداً إذا كانت الأخبار جيدة، أو المساعدة في لملمة الأشلاء إذا كانت سيئة.

من الجيد أن يكون المرء لوحده. لكن منافع النوم المبكر فقدت فجأة بريقها. وأخذ رأسها يعجّ بالأفكار، وأصبح النوم بعيداً ألف ميل.

أخذت أوراقاً وقلماً من حقيبتها وتكورت في المقعد قرب النافذة، تضع أفكاراً لمقالات مستقبلية للمجلة.. إن بعض المواضيع لا تفقد بريقها عند القراء. لكن بدلاً من التفتيش عن «السيد المناسب» ربما يجب أن يكتشفوا طرقاً للتخلّص من «السيد غير المناسب» ويمكنها أن تكتب هذا بنفسها.

كتبت بضع ملاحظات. لكن قلبها لم يكن موافقاً، ووضعت الورق جانباً متنهدة، ثم أراحت رأسها على الزجاج البارد وهي تتطلع إلى الحديقة التي ينيرها القمر.

كانت ترى السيارات المتوقفة في الطريق الداخلية للمنزل: سيارة والدها المرسيدس إلى جانب سيارة توبي الرانج روڤر، وإلى جانبهما سيارة رياضية لماعة، لا بد أنها لنك ديستراي.. سوداء قوية ومن صنع أجنبي.. مثل صاحبها.. الدخيل غير المرغوب فيه في الدائرة العائلية.

طرقة على الباب جعلتها تجفل. ونظرت عبر الغرفة إلى الخشب المدهون

باللون الأبيض وقلبها يخفق بقوة، وبشكل غبي تمنت لو أن الأبواب شفافة بطريقة سحرية كي تتمكن من رؤية من ينتظر في الخارج، ثم سمعت صوت والدها ينادي بهدوء: «بيج.. هل أنت نائمة؟».

للحظة لم تعرف هل تشعر بالارتياح أم بالأسى.

- لا يا أبي.. أدخل.. أرجوك.

وأطل رأس فرانسيس هارينغتون من الباب معتذراً: «لا أريد إزعاجك حبيبتي، خاصة وأنت تشعرين بالتعب».

وقفت مستقيمة: «أنا بخير مرة أخرى.. حقاً».

لكن هذا لم يكن صحيحاً. لأنها ترتجف من الداخل، تشعر بالذعر لتوقعها سماع ما جاء ليقوله لها.

وحضرت نفسها، قائلة: «هل.. تريد أن نتكلم؟».

تردد، وراح ينظر إليها بارتياب: «كنت آمل أن أتحدث إليك ونحن في الطابق الأسفل. لكن يمكن أن أنتظر حتى الصباح».

ضغطت بيج زراً وأضاءت الأنوار ثم قالت: «أعتقد أنه من الأفضل أن يكون هذا الآن، أليس كذلك؟».

- ربما.

وجلس على المقعد المغطى بالساتان، واستعادت بيج مقعدها قرب النافذة، تواجهه، ويداها تمسكان حافة المفرش.

ساد صمت قصير، ثم قال: «ما رأيك بنك ديستراي، حبيبتي؟».

ابتلعت ريقها وقالت بحذر: «أنا لا أفكر فيه أبداً، إنه مثل كل من هو من نوعه.. مجرد بذلة».

قطب والدها: «أستطيع القول إنه أكثر من هذا».

وصمت مجدداً.

- هل تكرهينه حقاً؟ أرجوك، كوني صريحة معي.

صريحة؟ يا إلهي.. إنها لا تستطيع أن تكون صريحة حتى مع نفسها.

- أبي.. أنا لا أعرفه بما يكفي لأصدر مثل هذا الحكم عليه، ماذا نريد أن

نعرف؟ هل الأمر مهم؟

قال متثاقلاً: «أجل عزيزتي.. في الواقع مستقبل هارينغتون كله يعتمد على هذا».

- على رأيي بنك ديستراي؟

وضحكت متصلبة: «.. كيف.. كيف يمكن لهذا أن يكون؟».

وجلست، ودماغها يعمل بفوضى وهو يشرح لها بالتفصيل الصفقة التي توصلوا إليها، ودورها فيها.

وتوقف العالم للحظة.. وتصاعد القيء إلى حلقها، وأرادت أن تصرخ «لا» وتستمر في الصراخ إلى أن يعرفوا أن ما يطلبونه منها مستحيل.

قالت: «هل هذا هو سبب استدعائي إلى هنا؟ كي يراني ويرى إذا كنت مناسبة لمتطلباته».

- طبعاً.. اعتبرنا أنه من الأفضل أن تلتقيا.

- من الأفضل. أوه أجل.. أفهم هذا.

رفعت يديها إلى وجهها. وتذكرت عينيه.. ونظراته الفاضحة.. والمال الممدود بطريقة مهينة بين أصابعه، ذلك المساء في المقهى. و.. أوه.. يا الله.. لمسته منذ بضع ساعات.

كل غريزة فيها كانت تحثها على أن ترفض وتترك هارينغتون تواجه مصيرها.

لكنها كانت تعرف أنها لا تستطيع فعل هذا.. وبدلاً من ذلك، سمعت صوتاً غريباً ينطق بالموافقة.. بالإذعان.

وسألت: «هل سنعرف متى يريد لهذا «اللازواج» أن يحدث؟».

- ما إن نتمكن من القيام بالترتيبات الضرورية. لكن، قد يكون من الأفضل أن تناقشي هذا معه بنفسك.

ضاقت حنجرتها: «وهل يجب علي ذلك؟».

- بالطبع. إنه يرغب في أن يتقدم بطلب يدك رسمياً.. وأن يسمع منك أنك موافقة من حيث المبدأ.

www.elromancia.com

قالت باختصار: «لا أعتقد أن للمبادىء دخل في هذا».

نظر إليها بارتياب: «نحن ممتنون لك إلى الأبد عزيزتي، أريدك أن تعرفي هذا، وحين ستتغلب على مشاكلنا المالية، ربما نستطيع أن نجد طريقة لإبعاد ماتيلاند ديستراي عن الصورة لئلا تضطري إلى رؤيته مرة أخرى».

وكانت ابتسامتها باردة: «أنا لا أنوي أن أراه بهذا القدر على أية حال».

قال: «لا.. بالطبع لا. حسن جداً، سأتركك الآن لتأخذي قسطاً من الراحة».

راحة؟ وفكرت پيج بهذا غير مصدقة مع إقفال الباب خلفه. لم تعد تشعر أنها قادرة على النوم مرة أخرى..

ماذا يجري في هارينغتون بحق السماء؟ هل توبي هو السبب؟

فلطالما كانت تشك في قدرته على إدارة الشركة.. لكنها كانت تكتم شكوكها، وتقول لنفسها ألا تتورط. وهذه هي النتيجة، هذه الورطة البشعة التي تورطت فيها حتى العنق.

لفت ذراعيها حول جسمها البارد المتصلب، ووقفت، تشد على أسنانها لتمنعها من الارتجاف.

ماذا فعلت؟ يا إلهي العزيز.. ماذا فعلت؟

بالرغم منها، تمكنت من أن تغفو بشكل متقطع لبضع ساعات.. لكن حتى خلال تلك الفترات القصيرة راحت أحلام غريبة مزعجة تلاحقها.

استفاقت بعد شروق الشمس. واستلقت تحدق في الأشعة الذهبية المتدفقة إلى الغرفة. سيكون هذا يوماً جميلاً. وهذه سخرية رهيبة من القدر، لأنه سيكون أسوأ يوم في حياتها.

نهضت من السرير، فلا جدوى من البقاء فيه، ولن يكون هناك أحد غيرها يتحرك الآن في المنزل.. فالوقت مبكر جداً.

استحمت، وارتدت قميصاً قطنياً وتنورة خفيفة، وانتعلت حذاءً جلدياً مسطحاً.

نزلت بهدوء إلى الطابق السفلي، واتجهت إلى المطبخ. ملأت إبريق الماء

ووضعته على النار، وأعدت قهوة كثيفة وسوداء.. لعل ذلك يعيد الشجاعة إلى قلبها.

خرجت بهدوء من الباب الخلفي وشقت طريقها حول الحديقة. هناك شيء في مساكب الزهور وصناديق الأشجار الشائكة يهدىء الروح.. وهناك تجيد التفكير.

لكنها اليوم، لا تستطيع التفكير بشيء. لقد اتخذت القرار ولا تراجع فيه.

كان جدها الأكبر واضحاً جداً حول ما يتوقعه. كان يريد أفضل المهندسين، أفضل المواد، وأفضل العمال ليعملوا في مشاريعه. كان يريد لكل شيء بناه أن يكون متناغماً مع ما يحيط به.

مع ذلك، فالآن، وفي القرن الواحد والعشرين، يبدو وللمرة الأولى أن رؤيته للأمور قد فشلت.

سارت ببطء، تحتسي قهوتها، وترفع وجهها إلى الشمس. كان هناك ندى ثقيل، وكل النبتات وأوراقها تلمع في نور الصباح الصافي. وبدا المنزل خلفها وكأنه متجذر في الأرض منذ فجر الزمان.

مع ذلك، فهو لم يكن هكذا على الدوام. فقد كانت «هاميتون هال» مجرد أطلال تقريباً حين اشتراها كريسين هارينغتون. لكنه عمل عليها ببطء، وأعادها إلى الحياة وجمّل الحدائق المهملة، على طراز نبلاء القرن الثامن عشر.

كان يعمل بشغف. والنتيجة التي حصل عليها أسكتت المنتقدين الذين سموه ساخرين حين بدأ المشروع «كريسين الأحمق».

وهذا ما كانت پيج تقاتل من أجله بقدر ما تقاتل لأجل الشركة.. إرث هارينغتون. وما من أحد سينتزعه منهم. سارت فوق العشب الرطب إلى حافة البحيرة، ووقفت لتنهي قهوتها، وهي تراقب الفقاقيع تخترق سطح الماء مع صعود السمك إليه. استدارت لتعود إلى المنزل، ثم توقفت شاهقة وراح قلبها يخفق بطريقة غير سوية.. لأنها لم تعد وحيدة...

كان هناك، يقف عند رأس السلم، وقد بدا طيفه وكأنه منحوت من الحجر البركاني الأسود. كان نك ديستراي يقف بينها وبين المنزل كالمتطفل.

بكل تأكيد لن تستطيع الهرب منه، لذا بدأت السير ببطء نحوه، ورأته ينزل السلم دون استعجال ويتحرك نحوها، ليلاقيها في منتصف المسافة.

توقفا على بُعد باردات من بعضهما، وكأنهما خصمان في مبارزة. كان يرتدي بنطلوناً أسود اللون يلتصق بساقيه الطويلتين، وقميصاً مرفوع الكمين يكشف عن ساعدين أسمرين. عيناه فضيتان، ساخرتان قليلاً.

قال دون ابتسام: «صباح الخير.. لقد رأيتك من نافذتي».

تظاهرت بالدهشة: «في مثل هذه الساعة؟».

وتساءلت عما إذا كان هذا يعني أنه لم ينم جيداً، وأحست بنوع من الرضى لتفكيرها هذا. ورفعت حاجبيها وسألت بحلاوة: «أتتجسس عليّ يا سيد ديستراي؟ هل خشيت أن أرمي نفسي في البحيرة وأغرق؟».

رأت الفم الصارم يشتد: «لا هذا ولا ذاك. لقد فكرت فقط أن هذه فرصة مناسبة لنا لنتكلم».

قالت بضعف: «ماذا هناك لتتكلم عنه؟ أنا واثقة من أن والدي قال لك ليلة أمس إنها صفقة مقبولة.. وإنني وافقت على قبول.. عرضك القذر».

ساد صمت مشحون، ثم قال بلطف زائد: «ثمة طريقة سهلة للقيام بهذا آنسة هارينغتون، وطريقة صعبة، أقترح أن تختاري بحذر. على أيّ حال، لست أنا من وضع قوانين مجلس إدارة هارينغتون، بل جدك الأكبر الذي تركنا معاً عالقين بين الصخر ومكان وعر».

قالت بغضب: «لا تتجرأ على قول كلمة واحدة ضد كريسين. كانت لديه رؤيا للمستقبل، واستقامة.. وهذه أمور لا يستطيع رجال المال مثلك سوى أن يطمحوا إليها».

التوى فمه: «لو كان كريسين العجوز يقف هنا في هذه اللحظة آنسة هارينغتون، هل تظنين أنه سيحب الطريقة التي كانت الشركة تدار بها مؤخراً؟ لا أعتقد أن كلمات مثل الرؤيا والاستقامة ستكون مناسبة».

وشاب الصباح المشمس الضباب فجأة. ونظرت پيج إلى الممر المرصوف بالحصى، تعض شفتها بقسوة.

أحست بحركة، بيد تمتد لتلمسها، فانكمشت غريزياً، مذعورة من ملامسته لها. فذكرى ملامسة أصابعه وما يمكن أن تفعله بها كانت لا تزال قوية جداً، ولو لمسها مرة أخرى، ستحترق، وقد تنزف.. والمخاطرة كبيرة جداً.

مع التقاء عيونهما، رأت نار غضبه المفاجيء تلمع في عينيه، وقد بدا مذهولاً، ثم تراجع خطوة إلى الوراء، ودس يديه في جيبيه بتركيز ساخر قائلاً: «أتشعرين بأمان أكثر الآن؟».

كانت پيج تقاوم لتستعيد سيطرتها على نفسها، فلم ترد عليه.

بعد لحظة، قال بهدوء: «كنت سأعرض عليك منديلاً، واعتذاراً».

وردّ رأسه إلى الخلف: «لقد كنت خشناً جداً الآن، ربما. لكنني أحسست أن شيئاً من الواقعية ضروري. ما من أحد سيقدر على توفير الاستثمار الذي تحتاجه شركة هارينغتون دون قيود، وشعرت منذ البداية أن الإشراف المباشر أمر أساسي.. وهذا يعني، مقعد في مجلس الإدارة».

وهز كتفيه: «ولسوء حظنا معاً، هناك طريقة وحيدة لتحقيق هذا».

قالت پيج: «إذن، تلك كانت فكرتك؟».

- أجل.. بالطبع. لكنني لن أعتذر على هذا، فإذا كان لهارينغتون أن تنجو، فلا بديل لهذا، ويبدو أن شركة ميتلاند ديستراي هي الفرصة الأخيرة.

أجفلت پيج مكشرة وقالت ساخرة: «شكراً لك.. لتوضيحك كل هذا».

رد نك: «إذن، دعيني أوضح أمراً آخر. بإرادة مشتركة منا، ستتمكن من المرور بالأزمة دون أضرار دائمة..».

قالت: «أجل، أفهم هذا..».

وترددت: «.. لكنك آخر شخص في العالم..».

وتلعثمت لتصمت تحت نظرته الساخرة.

قال ببرود: «حاولي فقط أن تتذكري أن الأمر ليس شخصياً.. إنه اتفاق عمل».

والتوى فمه.

أخذت پيج نفساً عميقاً: «أجل.. حسن جداً، إن كان هذا كل ما تريد

قوله.. فسأعود إلى المنزل».

قال ببطء: «فكرت لو نتخلى عن المواجهة.. ونحاول أن نعرف بعضنا قليلاً».

هزت كتفيها: «لا أرى داعياً لهذا. طالما ستعرفني وقت إجراء المراسم، فهذا كل ما هو مهم».

تنهد نك ديستراي بمبالغة: «أنت حقاً لن تتنازلي أبداً.. أليس كذلك آنسة هارينغتون؟ أفهم أنك تكرهين الإحساس بأنك.. بأنهم باعوك.. لكن..».

قاطعته بسرعة وحدة: «لكنني لست للبيع سيد ديستراي. أنا فقط في مرحلة إيجار.. تحصل على مقعد في مجلس الإدارة، وأحصل أنا على أسرع طلاق في تاريخ العالم».

قال بصوت منخفض: «هذا ما أسميه تخطيطاً للمستقبل، ربما يجب أن تديري أنت هارينغتون بدلاً من شقيقك».

رفعت ذقنها: «أنا سعيدة جداً بالوضع الحالي.. شكراً».

لم تصل ابتسامته إلى عينيه: «حسن جداً، أنا لست سعيداً.. وأتوقع أوقاتاً صعبة أمامنا».

سارت تتجاوزه، وصعدت السلم وبشرتها تتدغدغ لتأكدها من أنه لا يزال يراقبها. ومنعت نفسها من النظر إلى الخلف للتأكد.

صفقة تجارية بسيطة.. مع ذلك، ساورتها الشكوك. فسألت نفسها، يا إلهي العزيز.. بماذا ورطت نفسي؟

ذهبت فوراً إلى غرفتها، وبقيت فيها إلى أن سمعت أصوات تحضير الفطور.. وقادها توبي إلى خارج غرفة الطعام.

ـ أختاه.. لن أستطيع شكرك بما يكفي.

قاطعته لتسكته: «لا تكن ممتناً كثيراً.. أتوقع أن نتحمّل مشاكل أكثر مما حلمنا به».

شخر ساخراً: «سيجد ديستراي أنه صوت منفرد وحيد، ولن يجعله أي شيء فرداً من أفراد أسرة هارينغتون، ولن يستطيع الوقوف في وجه عائلة

بكاملها».

وابتسم بثقة: «يمكن أن نتجاوزه بسهولة».

رفعت پيج حاجبيها: «حقاً؟ وهل تظن أن العم الأكبر جايمس وابن العم روجر وزوجته التافهة سوف يقفون معك ضد المال؟ لا أعتقد هذا.. في الواقع، أنا لا أعتمد على شيء».

كان نك جالساً إلى المائدة، يأكل اللحم والبيض المخفوق حين دخلت پيج. وقف تأدباً، وأمسك لها الكرسي فتمتمت بكلمة شكر وجلست وهي تشعر بالنظرات المتفحصة التي يرمقها بها.

قالت دنيس وهي تشغل نفسها بصب القهوة: «حسن جداً.. أنتما شخصان ماكران. ظننت أنكما التقيتما لتوكما وأن پيج لا تطيقك».

وضحكت لنظرة توبي الغاضبة: «والمسألة أنهما حبيبان منذ مدة.. تصوروا».

وافق نك بوقار: «هذا تقريباً أصعب من أن يُصدق».

والتوى فمه قليلاً.

أحست پيج بصدمة كادت تجعلها تضحك. وأخذت رشفة كبيرة من عصير البرتقال الطازج.

أكملت دنيس بحماسة: «أعتقد أن الزفاف سيكون في لندن».

لكن نك هز رأسه، وقال بحزم: «أنا واثق من أن پيج سترغب في أن تتزوج في منزل العائلة، وفي كنيسة القرية.. سنرتب موعداً للزفاف مع القسيس في الأسبوع المقبل، يوم الجمعة ربما».

توقف الجميع عن الطعام، وقال فرانسيس هارينغتون: «أليس هذا أمراً مستعجلاً يا بنيّ؟ فالزفاف يلزمه تنظيم أكثر من هذا بكثير».

ـ سنحصل على ترخيص خاص ونقيم حفلاً متواضعاً.

ومد يده ليأخذ التوست: «پيج وأنا نريد حفلاً هادئاً جداً، أليس كذلك حبيبتي؟ الآن وقد جعلتها أخيراً تقول نعم لا أريد أن أنتظر أكثر من هذا».

وابتسم لها، وحاولت دفع عضلات وجهها للرد فنفشلت. وعرفت أنها لو

حاولت أن تقول شيئاً فسيخرج صوتها مخنوقاً.

وتابع نك، بعد أن تنحنح: «فكرنا.. بالعائلة المقرّبة فقط، وعدا عن إشبيني، فإن ضيفي الوحيد، سيكون جدتي».

اتسعت عينا دنيس استهجاناً: «ألن يأتي والداك؟».

ـ لسوء الحظ لا. لقد ماتا منذ بضع سنوات إثر حادثة مريعة على بعد مئة يارد من المنزل. طفل ركض إلى الشارع، وحاولت أمي، التي كانت تقود السيارة، تجنبه فاصطدمت بشجرة.

نظرت دنيس مؤنبة إلى شقيقة زوجها: «أنا آسفة.. پيج، كان يجب أن تقولي لنا».

نظرت پيج إلى صحنها وقالت بخشونة: «أجل.. أنا آسفة».

وكانت تعني الأسف فعلاً. كان في صوت نك برود فارغ وهو يروي القصة، مما يدل على أن هناك بقايا حزن لم يتخلّص منه بعد. وهذا ما جعله يبدو أكثر إنسانية، وبشكل غير مريح، فهذا ما لم تكن تريده. ذلك أن الكراهية تحتاج إلى من يغذيها.

سأله توبي: «هل تعيش جدتك في لندن؟».

ـ لم تعد تعيش هناك. لطالما كرهت المدن، وحين مات جدي عادت إلى قريتها الصغيرة في النورماندي حيث ولدت.

أمسك يد پيج. واضطرت إلى مقاومة رغبتها في أن تنتزعها منه، ثم قال بصوت ناعم: «سيسرّها سماع أخبارنا حبيبتي، إنها تقول لي دائماً إن الوقت قد حان لأستقر».

قالت دنيس بإشراق: «أنت نصف فرنسي إذن».

قالت پيج بسخرية ثقيلة: «أوه.. أنت لا تعرفين نصف الحقيقة».

ودفعت طبقها الذي لم تمسه بعيداً: «إنه مليء بالمفاجآت».

قال نك مقترحاً، وأصابعه تشتد حول أصابعها محذراً: «إذا كنت قد أنهيت طعامك حبيبتي، ربما نستطيع التمشي نحو القرية الآن. لنرى إذا كان القسيس في المنزل ونحدد معه موعد الزفاف».

قال توبي بشيء من العدوانية: «مهلك دقيقة..».

سأله نك باعتدال: «هل هناك مشكلة؟».

وتراجع توبي متمتماً: «لا.. اذهبا. أنا فقط لا أريد أن تُدفع شقيقتي لاستعجال أي شيء.. قبل أن تكون مستعدة، وهذا كل ما في الأمر».

دس نك ذراعاً حول خصر پيج المتصلب: «أعتقد أنك ستجد أنها متشوقة مثلي.. لقد بدأت تضع الخطط للمستقبل.. أليس كذلك حبيبتي؟».

أجبرت پيج شفتيها على ما يشبه الابتسامة: «بالكاد أستطيع الانتظار.. حبيبي».

سارت إلى جانبه بصمت في الممر الذي يقود إلى القرية، وكانت الشمس دافئة على ظهرها والهواء محمّل بدمدمة النحل. كان منظراً ريفياً مثالياً، مع ذلك أحست پيج أنها تسير في الطريق إلى جهنم.

أخيراً قال نك معلقاً: «يوم ممتاز».

قالت باختصار: «من الواضح أن لنا أفكاراً مختلفة عن الكمال».

رد بحدة مماثلة: «ربما. لكن، من الأفضل أن ندفن خلافاتنا إلى ما بعد الزواج. وإلا، فإن هذه القصة الرومانسية لن تخدع أحداً».

عضت شفتها وقالت بصوت ساخر: «هل هذا ما ستقوله للناس؟ الحب من أول نظرة؟».

هز كتفيه: «ولم لا؟ إنه أمر يحدث، وهو أفضل من الحقيقة في هذا الموقف».

اعترضت پيج: «لست أدري السبب».

ـ فكري بالأمر.. الصحافة المالية ستشير إلى أنني انضممت إلى مجلس إدارة هارينغتون. وهذا أمر لا مجال لتجنبه. لكن أية دلالة على أن ذلك تمّ عن طريق الزواج المدبر ستجعل أصغر الصحف شأناً تزحف إلينا.. ولا أحد منا يريد هذا.. لا شخصياً ولا مهنياً.

ردت من دون إرادة: «لا.. لكن أتظن أننا سنخدع أحداً، حقاً؟».

قال نك: «لن نخدع أحداً طالما أنت تتصرفين هكذا.. وأخوك أيضاً لا

يساعد. ربما تستطيعين أن تذكريه أن الوقت تأخر للعب ورقة الحماية نحوك».

قالت: «حسن جداً. في المقابل، ربما تستطيع أن تخفف من حركات التحبب».

- إنها أساسية في السيناريو، كما أخشى. والناس تلاحظ أسرارنا، مثل زوجة أخيك التي ستتوقع شيئاً من هذا النوع.

هزت پيج رأسها بيأس: «أعتقد هذا. أوه.. يا إلهي! الأمر يزداد سوءاً».

توقف نك. وقبل أن تتمكن من المراوغة، أمسكت يداه كتفيها، وأدارها لتواجهه. كانت العينان السوداوان قاسيتين وهما تراقبان احمرار وجهها. وقال بخشونة: «لم يفت الأوان بعد. ولست مضطرة لأن تكوني شهيدة قضية هارينغتون إذا كانت المسألة كريهة إلى هذا الحد.. لا زلت قادرة على الانسحاب».

انتزعت نفسها منه: «وماذا عنك؟ يمكنك التخلي عن المقعد في مجلس الإدارة ومع ذلك تقرض هارينغتون المال؟».

سألها ببرود: «وهل أعطي توبي شيكاً على بياض؟ مستحيل، حبيبتي. أفضل أن أرى أين سيذهب مالي».

نظرت إلى الأرض، وقالت أخيراً: «لقد أعطيت كلمتي، ولن أستطيع التراجع، حتى لو أردت ذلك».

قال نك ساخراً: «ضحية عذراء على مذبح العائلة.. يا لهذا النبل منك.. أم يجب أن أقول الرشوة المذهلة».

شهقت پيج، وقالت مصدومة: «أنت تقول هذا.. أنت تجرؤ على قول هذا لي؟».

وأرجعت يدها إلى الوراء لتصفع الوقاحة على وجهه. لكنه توقع حركتها، وأطبقت أصابعه على معصمها، ليشدها بعنف إليه.

للحظة، أحست بدوار، وفقدت توازنها، وشعرت بذراعه تلتف حولها من دون لطف..

قال نك: «يمكنك عرض عشرة جنيهات لقاء عناق حبيبتي.. حسن جداً، خذي هذا مجاناً».

وهي مذعورة، وضعت پيج يديها على صدره في محاولة لدفعه عنها. لكن الأوان كان قد فات.

كان عناقه عقوبة، وهي تعرف هذا. لكن هذا لم يجعل الأمر أكثر سهولة، وهي عالقة بعجز بين ذراعيه. أصدرت صوت احتجاج صغير من حنجرتها وحاولت بيأس أن تستدير، أن تتوسل دون كلمات ليتركها.

بدلاً من ذلك، ارتفعت يد نك لتحتضن رأسها، وأحست بأصابعه تلتوي في شعرها الحريري، لتبقيها جامدة.

وفجأة. انتقلت إلى بُعد جديد لم تحلم به من قبل، بفضل عناقه العميق. وشعرت بحرارة عناقه مثل حرارة الشمس، وكأن رائحة عشب الأرض وأوراق الشجر تعطي صداها في رائحة بشرته. لقد أصبحت أسيرة.. خاضعة لقوة بدائية لم تختبرها من قبل. فخلف جفنيها المطبقين كان العالم يسبح ويخرج عن السيطرة، أصبحت طائشة، مرتجفة، بالكاد تتمكن من التنفس..

ثم، وبصدمة كأنها صفعة، انتهى كل شيء، وأصبحت حرّة. وفتحت عينيها مذهولة لتجد أنه تراجع إلى الوراء. نظرت إليه، وهي تقاوم لتفكر جلياً.

قال نك بصوت منخفض وقد ضاقت عيناه: «حسن جداً.. ما من قصة مقنعة حين نريد واحدة».

وأخذ يضحك. فأحست كأنه يرميها بالماء البارد. وارتجف صوتها: «أيها النذل هل تصورت للحظة أنني.. أنني سأدعك..».

هز كتفيه: «لسوء الحظ، لن نعرف أبداً، لكن على الأقل، تبدين كعروس المستقبل أكثر منك شهيدة. وهذا ما سيقنع القسيس بصدقنا.. هل نذهب؟».

أرادت أن تصرخ أنها لن تسير معه إلى أبعد من البوابة التالية.. لكنها بدلاً من هذا، سمعت نفسها تقول بخشونة: «أريدك أن تعدني.. بل تقسم.. أنك ستتركني وشأني من الآن وصاعداً».

قال: «رائع.. إذا كان هذا ما تريدين».

وصمت. فقالت بشراسة: «أجل.. أجل.. هذا ما أريده».

تابع وكأنها لم تتكلم: «مع أنني أشك في أنك تعرفين ماذا تريدين.. لكن هذه يا زوجة المستقبل مشكلتك وليست مشكلتي».

واستدار مبتعداً نحو القرية وتركها تلحق به مترددة.

كانت تأمل أن يدعي القسيس أن زواجهما في وقت قريب أمر مستحيل، لكن أملها خاب. اندهش المحترم، لكنه وافق على أن تجرى المراسم في أسرع وقت ممكن.

قالت بيج مرتاعة وهما يخرجان: «يا إلهي.. لا بد أنه يظنني حاملاً».

رد نك دونما اكتراث: «إذن سيعرف أنه مخطىء حين لا نطلبه لعمادة ابننا».

وأحست فجأة أنها تكاد تبكي وبشكل سخيف: «لكنه عرفني طوال حياتي.. وأكره أن أخدعه.. أن أدعه يفكر السوء بي. سوف أشعر بأنني منافقة.. وأنا أقف أمامه مدعية أنني أريد الزواج، بينما طوال الوقت..».

وساد صمت، ثم قال نك بهدوء: «دعينا نتقبل فكرة أن هذا الأمر لم يخترّه أي منا، ونترك الأمور عند هذه النقطة».

قالت بوحشية: «أوه.. من السهل أن تقول هذا.. فحياتك.. أو سمعتك.. ليست في الميزان».

اشتد ضغطه على فمه: «تظنين حقاً أنك الوحيدة التي تضحّي، أليس كذلك سيدتي؟ حسن جداً، صفقتنا هذه سيف ذو حدين. أنا أيضاً لي حياتي الخاصة».

ردت بيج بصوت مشدود: «حسن جداً.. أرجوك لا تغيرها بسببي.. على أيّ حال، سنحتاج إلى أساس لطلاقنا النهائي».

قال ساخراً: «أتعنين أنك تعطيني الإذن بالزنى؟ ماذا سيقول القسيس لو سمعك الآن؟ على أية حال، انسي هذا.. الشرط هو سنتان من الفراق، نظيفة، مرتبة، ودون فضيحة».

ردت ببرود: «أرجو أن تكون فخوراً بالصفقة».

ـ انتظري إلى أن أعيد هارينغتون من على حافة الإفلاس.. ثم اسأليني مرة أخرى.

وصمت قليلاً، ثم أكمل ببرود: «ربما تعذريني إذا لم أرافقك إلى المنزل.. فأعتقد أن كلاً منا بحاجة لأن يكون لوحده».

قالت: «أجل.. ربما سيكون هذا.. أفضل».

ووقفت تراقب طيفه الطويل يختفي عن الأنظار.

بطريقة ما ستضطر لأن تجد علاجاً لهذا، ويجب أن يكون علاجاً دائماً.. هذا إذا أرادت يوماً أن تستعيد راحة البال.

وبيطء بدأت السير الطويل نحو المنزل.

* * *

٥ ـ بين الشيطان والبحر العميق

صوت نك النافذ الصبر غزا أفكارها وأعادها إلى العالم الحقيقي.

ـ بيج.. بيج.. هل تصغين؟

وجدت نفسها ترمش بعينيها وهي مصابة بدوار، تواجه النظرة المتسائلة التي يوجهها إليها.

ـ أنا آسفة.. كنت بعيدة أميالاً.

التوى الفم الصارم: «أخشى أن يكون هذا تمنياً.. هناك رسالة من هيلير لكي نشد حزامي مقعدينا، ستكثر المطبات الهوائية».

عضت شفتها: «يبدو أن العاصفة لحقت بنا».

قال نك: «أصبحت الآن «إعصاراً» حقيقياً يسمونه «مينا»».

ـ أوه.. يا إلهي.

تصلبت بيج بخوف، واشتدت قبضة أصابعها على ذراعي المقعد.

تابع نك بخشونة: «لكن هيلير يقول إن هذه أطرافه فقط، وإننا سنكون قريباً في سانت ماري، كما هو مخطط تماماً».

ولامست شفتيها الجافتين بطرف لسانها مع اهتزاز الطائرة فجأة: «أجل.. بالطبع».

اشتدت حدة نظرة نك، وسأل: «متوترة؟».

أنكرت بسرعة: «أبداً.. أحس بعطش بسيط. هذا كل شيء».

ـ ستجدين بعض الشراب المثلج في حقيبة الثلج تحت مقعدك.. ولا تقلقي، فهيلير يعرف ماذا يفعل.

قالت: «أجل.. شكراً لك».

فتحت زجاجة مياه معدنية، وكتمت صرخة غريزية مذعورة مع ارتجاج الطائرة مرة أخرى.

وكان لا يزال يراقبها، اللعنة عليه: «هل أنت واثقة من أنك بخير؟».

ـ تماماً.

وشربت بعض المياه المعدنية: «أرجوك لا تضخم الأمر. فأنا فقط أشعر ببعض الاضطراب».

كما أنّ الإعصار لا يمكن مقارنته بالعاصفة العاطفية الثائرة الآن في نفسها.

كانت الذكرى حية، وبدا لها أنها أصيبت بلعنة لتذكرها كل لحظة ألم أمضتها مع نك.. فمرور الزمن لم يخفف وطأة المسألة عليها.

حتى أنها تكاد تشعر بحجارة سور الكنيسة الدافئة تحت يدها وهي تقف لتراقب رحيل نك.

إن رحيله سيكون على الدوام واحداً من ذكرياتها الأكثر حضوراً، واشتد ضغط أصابعها على ذراعي مقعدها بتشنج.

مواجهته غير المتوقعة هي التي أخرجت كل هذا العذاب الداخلي. في العادة كانت تتمكن من السيطرة على ذكريات الماضي. أما الآن، فالأحداث تتآمر ضدها، لتعيد الذكرى إلى العمل مجدداً.

علقت الطائرة مجدداً في هبة ريح.. فأغمضت عينيها، وحاولت أن تتنفس بعمق، وهي تعي أن التشنج في داخلها قد يتحول بسرعة وبشكل كريه إلى ألم جسدي مع تزايد الاضطراب. وقالت لنفسها بتصميم متجهم.. أنت لا تصابين بدوار أبداً.

جرعات من المياه المعدنية ساعدتها على الهدوء، مع تقدم الطائرة ببطء لتشق طريقها إلى سانت ماري. لكنها أحست بدوار بسبب مقاومتها للغثيان الذي أصابها. وكانت ترتجف كورقة شجر فيما هيلير يناور بالطائرة ببراعة ليهبط بها على المدرج.

علق نك وهو يقفل حقيبة أوراقه: «وصلنا بأمان، وقبل الوقت المحدد».

حسن جداً، فلتكن ممتنة لهذا على الأقل.. وأجبرت أطرافها المرتجفة على أن تطيعها. لم تفتها الرحلة إلى انكلترا بعد، كما كانت تخشى. وقريباً.. قريباً جداً.. ستعود إلى بلادها، إلى الأمان.

لكن.. هل ستكون حقاً بأمان؟ تساءلت متململة وهي تجمع أغراضها.. ما هي المشاكل التي ألمح إليها نك وهما على الشاطىء في الليلة السابقة؟ كانت قد خططت للاتصال بالمنزل في انكلترا بعد الفطور، لتفهم من توبي ما هي مضطرة للتعامل معه بالضبط، لكن تقدم الإعصار «مينا» ألهاها.

أخرت سيرها متعمدة لتسمح لنك أن يصل إلى مبنى المطار قبلها، على أمل أن تضيع بين الناس. كانت الريح تصرخ بها بوحشية طوال الطريق عبر المدرج، وما أن وصلت إلى القاعة الرئيسية، حتى كانت مقطوعة الأنفاس.

وكما هو متوقع، كانت القاعة مزدحمة بالناس المهتاجين.. البعض يذرع المكان دون هدى، والبعض الآخر يجلس على أمتعته. وأدركت پيج بقلب غائص، أن أياً من مراكز الدخول لا يعمل. وانضمت إلى صف طويل أمام طاولة الاستعلامات. وحين وصلتها، تأكدت أسوأ مخاوفها. كان الموظف مهذباً لكنه صارم: «أنا آسف سيدتي، ألغيت كل الرحلات».

ـ حتى متى؟

هز كتفيه: «حتى إشعار آخر، وبالتأكيد حتى ينتهي الإعصار «مينا»».

سألت پيج برعب: «لكن، ماذا سأفعل؟ هل أستطيع البقاء هنا؟».

هز رأسه: «سنقفل المطار بعد قليل».

ثم نظر إلى تذكرتها وقطب، واشتد اهتمامه: «مهلك لحظة سيدتي، أعتقد أن لديّ رسالة لك».

نظر إلى ورقة أمامه: «أجل.. آنسة هارينغتون. هناك سيارة تنتظر لتأخذك إلى فندق «ماري رويال» حيث ستجدين غرفة محجوزة لك».

رددت پيج بحيرة: «غرفة؟ لست أفهم. أنا لم أحجز شيئاً».

ـ مع ذلك فالحجز موجود، سيدتي.

وأعاد لها تذكرتها: «أنصحك باستخدام سيارتك بسرعة، فلن يكون هناك المزيد من الرحلات، والطريق طويل حتى المدينة».

كان السائق ينتظر بنفاد صبر، وراح يدمدم متذمراً طوال الرحلة. أما الطريق إلى المدينة فكانت مليئة بالأنقاض كما رأت پيج، وأشجار النخيل منحنية تحت قوة العاصفة.

حين وصلا إلى الفندق، انتزع السائق المال من يدها، وانطلق بسرعة فلم تستطع أن تلومه، وراحت پيج تشق طريقها إلى داخل الفندق.

كان بهو الفندق مزدحماً، وبدا الصف أمام مكتب الاستقبال وكأن لا نهاية له. ولحسن الحظ، لم تجد نك.. لا شك أنه الآن في طريقه إلى بلاده.

كانت لا تزال غير مصدقة بأن ثمة غرفة محجوزة باسمها. فأمامها، كان الناس يُبعدون بأدب وحزم، ويتراجعون، بوجوه كئيبة أو خائبة.

حين وصلت پيج إلى المكتب قالت: «أعتقد أن لديكم غرفة لي، پيج هارينغتون».

كانت تتوقع أن يسخروا منها، لكن موظف الاستقبال نظر إليها بسرعة، ثم نظر إلى شاشة الكومبيوتر أمامه: «أجل سيدتي».

وأشار إلى أحد الخدم: «خذ حقيبة السيدة إلى الغرفة رقم 105».

سمعت پيج تمتمات غير راضية، فقالت: «أنا لا أفهم، أنا لم أحجز».

ـ تلقينا مكالمة هاتفية من سانت انطوان في الصباح الباكر سيدتي.

وأعطاها المفتاح، ثم تطلع إلى خلفها، وتابع: «وهكذا استطعنا استقبالك».

وفكرت پيج مذهولة: إنه براد.. ولحقت بالخادم إلى المصعد. لا بد أنه خمن أنها قد تعلق هنا، وتصرف ليطمئن على وجود مكان تنام فيه.

دون شك، إنه رجل مميز.. وتنهدت. وتمنت من كل قلبها أن تتمكن من رد صنيعه بالطريقة التي يريدها.

كانت الغرفة في ظلام دامس. فترددت عند مدخلها للحظة ثم أضاء الخادم النور، وأدركت پيج أن سبب العتمة هو المصاريع المتينة التي تغطي النوافذ. من

الواضح أن فندق ماري رويال معتاد على مواجهة الطقس الرديء ومتحضر له بشكل جيد.

وضع الخادم حقيبتها على رف منخفض، وأرشدها إلى الحمام والخزائن، ثم غادر مرحاً، يمسك بالبقشيش.

بعد أن غادر، أطفأت بيج الأنوار الرئيسية وتركت مصباحاً واحداً شكل الإضاءة الوحيدة للسرير والغرفة. خلعت حذاءها متنهدة، وغاصت على أحد جوانب السرير. كانت تعلم أن عليها خلع بذلتها وتعليقها قبل أن تتجعد. لكنها لم تكن تملك الطاقة للقيام بذلك، فمعدتها لم تكن قد استقرت بعد من كابوس الطيران، وكان جسمها دبقاً من العرق.

لم تشعر بأيّ قابلية لتناول الطعام. كما لم يستهوها ترك الخلوة والهدوء النسبي في غرفتها والانضمام إلى الجمع في الطابق الأسفل.

رفعت ساقيها على السرير وسحبت جسمها إلى الوراء لتستقر على الوسائد الناعمة متنهدة. ما أزعجها لم يكن الرحلة وحدها، ولا توقع أن تعلق فيما يعصف الإعصار. وجود نك في الطائرة كان كافياً ليسبب لها الإزعاج.

طوال تلك الأشهر، تمكنت من تجنبه، ولو جسدياً، ولعنت الصدفة التي جمعتهما سوياً في مثل هذا الوقت. وأغمضت عينيها.. فقلة النوم في الليلة السابقة بدأت تنال منها، وربما غفوة صغيرة ستساعدها على استعادة الهدوء.

هبة ريح حركت الستائر وجعلتها ترتجف وتدفن نفسها عميقاً في الفراش. إذا كان هذا مجرد أطراف الإعصار.. فما هو الحال لو علق المرء وسطه؟ مع أنها يجب أن تعرف ذلك الشعور، لأن هذا الوضع لاحقها طوال حياتها، فقد وجدت نفسها عالقة بين الشيطان والبحر العميق. والشيطان هنا، بالطبع، هو نك.. وهارينغتون هولدينغ هي المحيط العميق.

في غمرة تحضيرات الزواج لم يكن لديها الوقت للتفكير أو سؤال نفسها عما تفعل. لكن الإحساس بالارتياح لدى والدها وشقيقها كان ملموساً إلى درجة أنها افترضت أن ما تقوم به هو الصواب.

ولم يكن هناك وقت ولا حاجة إلى زخارف العرس العادية.. مع أن مديرة

المنزل أصرت على صنع قالب حلوى.

وقررت بيج ألاّ ترتدي الأبيض، ففتشت في محلات الأزياء إلى أن وجدت فستاناً بسيطاً من الحرير الزهري، مفصلاً بإتقان وله سترة شفافة كانت تتماوج حولها.

قبل بضعة أيام من العرس، اتصلت بها فتاة قدمت نفسها باسم جينا نورتون، مساعدة نك الخاصة، لتسأل إذا كان جواز سفرها جاهزاً. وقطبت بيج وهي ترد: «أجل.. بالطبع. ولماذا أنت بحاجة لمعرفة ذلك؟».

ضحكت الفتاة مقهقهة: «طلب مني نك أن أسأل آنسة هارينغتون.. أعتقد أنه سيأخذك إلى خارج البلاد في شهر العسل».

رددت بيج بذهول: «شهر العسل؟ أنت بالتأكيد لا تعنين هذا؟».

وبدت جينا نورتون مرتبكة: «هذا أمر عادي آنسة هارينغتون».

وبسرعة استجمعت بيج نفسها، وقالت بضعف: «لم أكن أعتقد أن لديه الوقت لترتيب أي شيء. فأنا أعرف كم أن نك مشغول».

ردت جينا بمرح: «أوه.. لديه الوقت الكافي للقيام بذلك فأي رجل كان ليفعل الأمر نفسه».

عضت بيج شفتها: «أعتقد هذا.. هل لديك فكرة إلى أين يخطط أن يذهب؟».

اعتذرت جينا: «أخشى أن لا.. وأعتقد أنه يريد مفاجأتك».

إذن، لقد نجح.. وأعادت بيج سماعة الهاتف إلى مكانها.. هذا جزء من المهزلة العامة بالطبع. ولن تستطيع الادعاء أن هذا الحديث الموجز لم يكدرها.

يوم العرس، كانت بيج تشعر بإحساس غريب من اللاواقعية. وفكرت بقلق أنه لو كانت الكنيسة ممتلئة، فهي تشك في أنها قادرة على إكمال هذه التمثيلية. لكن لحسن الحظ، لم يكن هناك سوى حفنة من الناس في الكنيسة.

وأحد هؤلاء بالطبع، كان نك.

رأته ينتقل من أحد المقاعد الأمامية لينتظرها عند المذبح. بدا طويلاً، رشيقاً، في بذلة سوداء أنيقة. وللحظة أحست بأن الزمن قد تراجع إلى الوراء،

وإذا بها تتذكر بالتفصيل، تلك اللحظات القليلة التي أمضتها بين ذراعيه. وأحست مرة أخرى بقوة جسمه التي لا تلين.

ترنحت للحظة، بينما كان والدها ينظر إليها بقلق. كافحت لتستعيد توازنها وأدركت أن نك يراقب كل خطوة تخطوها نحوه، وعيناه مصوبتان إليها، وكأنه يحاول تنويمها مغناطيسياً. وضاقت حنجرتها، لكنها سيطرت على حركاتها، لئلا تستدير وتهرب.

لكن الوقت كان قد فات منذ وقت طويل للهروب..

وصلت إلى جانبه وأعطت دنيس الزهور التي وصلتها ذلك الصباح مع بطاقة نك.. أزهار صفراء، مع ورود صغيرة عاجية اللون مربوطة بشريط فضي وكانت دنيس قد همست لها: «لقد اتصل ليسأل عن الألوان».

لكنه لم يتصل ليتكلم معها. ولم تتلق رسالة أو مكالمة شخصية منه منذ ذلك اليوم حين افترقا في القرية، حتى عندما أراد أن يسألها عن جواز السفر كلف سكرتيرته بذلك.

في الواقع، تساءلت أكثر من مرة عما إذا كان سيتراجع، بعد هدوء العاصفة. مع ذلك، ها هو يقف صامتاً إلى جانبها.

وفكرت پيج: كان يجب أن نتزوج مدنياً، فهذه المراسم الدينية وقورة جداً، فلماذا أصر نك عليها إذن؟

كانت يده قوية وباردة وهو يمسك يدها ليلبسها الخاتم الذهبي الذي اختاره بسيطاً. وأحست به ثقيلاً غريباً في أصبعها.

وبينما كانا يسيران إلى خارج الكنيسة معاً، شعرت پيج بنظرات الانتقاد من سيدة عجوز تجلس في الصف الثاني من المقاعد، وترتدي بذلة حريرية بلون رمادي، وقبعة سوداء عريضة تغطي شعرها الأبيض المرفوع إلى الأعلى. وما إن وصلت پيج إلى محاذاتها، حتى أحنت رأسها قليلاً، لكن دون أن تبتسم.

لا بد أن هذه هي جدة نك. وأحست پيج ببرد خفيف.. شخص آخر سوف نخدعه...

في السيارة، وجدت نفسها تنحشر في زاويتها وأصابعها تتلاعب بتوتر

بشرائط باقة الزهر.

نصحها نك ساخراً: «استرخي».

وأحنى رأسه للسائق من خلف الحاجز الزجاجي: «أنا لا أبدي توتري أبداً أمام من يراني».

ـ هذا أمر مطمئن.. لكن لن يكون هناك توتر دائم.

رد بنعومة: «هذا صحيح.. يجب إذن أن تثقي بي».

أخذت نفساً عميقاً: «هذا ليس سهلاً. خاصة وأنت ترمي شيئاً مثل شهر العسل في وجهي».

رفع كتفه دون مبالاة: «هذا ما يفعله المتزوجان حديثاً حلوتي.. على أي حال، فكرت أنك قد تسرّين بعطلة لبضعة أيام».

قالت: «ربما.. لكن ليس معك».

ـ أخشى أن أكون ملازماً للمنطقة التي أنت فيها..

ولم يبدُ عليه الندم: «لن نفعل شيئاً قد ينبه الناس إلى أن هذا الزواج ليس زواجاً تقليدياً. هذا هو الاتفاق، وأنا متمسك به».

رفعت پيج ذقنها تحدياً: «لن تستطيع إجباري على الذهاب معك».

تنهد نك: «دعينا لا نبدأ الجدال حول ما أستطيع أو لا أستطيع، أتصور أن عائلتك ستفضل أن تكوني سهلة الانقياد».

ـ لقد كنت هكذا.

ورفعت يدها تريه خاتمه: «وهذا هو الدليل. لكن سيطرتك على حياتي أمر آخر».

سأل ببرود: «وماذا كنت تتوقعين بحق السماء؟ أن ألوح لك مودعاً عند باب الكنيسة؟ كوني واقعية أيتها السيدة».

ـ لكن هذا غير واقعي.

ونفضت أوراق الزهور عن فستانها، بنفاد صبر: «لا شيء منه واقعي، ولست واثقة من أنني قادرة على تحمله».

قال نك متشدقاً: «إذن، فالأيام القليلة القادمة ستعطيك الكثير من الفرص

لتتدربي. . وحين نعود بإمكانك البدء برمي تلميحات عن أنّ شهر العسل لم يكن مرضياً، إذا كان هذا سيرضي تعطشك للحقيقة».

صمت قليلاً، ثم أضاف بحزم: «إبدئي بتحضير معارفك للطلاق. فعلى أي حال لن نكون أول من تزوج بسرعة وتراجع بسرعة أكبر».

ـ أجل. . أعتقد هذا. .

وصمتت، وراحت تنظر متعبة إلى الأراضي الريفية المحيطة بهما: «لكن هذه ليست الطريقة التي تصورتها لبداية حياة زوجية».

ـ حسن جداً. . لا تجعلي ذلك يؤثر فيك.

وأبطأت السيارة لتستدير باتجاه الطريق الخاصة بالمنزل الريفي، وأكمل: «فكري فقط أن الأمر سيكون أفضل في المرة القادمة».

قالت: «أولاً، يجب أن أتعلم كيف أنجو من هذا. . وأنا أفترض أن جدتك لا تعرف الحقيقة. فماذا قلت لها بحق السماء؟».

كانت ابتسامته مشدودة: «قلت لها إنه الحب من أول نظرة حبيبتي. . وماذا أقول غير هذا؟ وأننا لم نحتمل الانتظار ثانية أطول مما انتظرنا».

ـ وصدقت هذا؟

هز نك كتفيه: «من يعلم. لقد قدمت لنا منزلها لشهر عسلنا، وستقيم هي في لندن لتزور أصدقاء قدامى».

قالت پيج مخدرة الإحساس: «أوه. . ».

إذا كانت مضطرة لقضاء بعض الوقت برفقة نك، فهي تفضل أن يكون هذا في فندق. وبدا لها من الغدر أن تستغل ضيافة جدته.

قال نك بصوت منخفض بينما كانت السيارة تتوقف أمام الباب: «لا تقلقي. . إنه منزل كبير. . ومع شيء من الحرص، قد نتمكن من تجنب بعضنا طوال مدة إقامتنا فيه».

قالت: «ليس الوقت مبكراً لبدء هذا».

وسارت مبتعدة عنه برأس مرتفع.

لم يكن لديهما الوقت للبقاء طويلاً في حفل الاستقبال. . ووجدت پيج

نفسها في الطابق الأعلى تحاول أن تقرر ماذا تضع في حقيبتها لقضاء أسبوع في النورماندي قبل أن يغادرا المنزل للحاق بالطائرة.

كان لها حديث قصير رسمي مع مدام دو شاريه، والتي قدمها نك لها. بدا واضحاً أنه يحب جدته كثيراً. لكنه كان يخشاها، الأمر الذي وجدته پيج مثيراً للاهتمام. . ودلالة ضعف.

راحت تفتش عما تقوله، فشكرت المرأة العجوز على إعارتهما المنزل. وأضافت بأدب: «أرجو أن لا نكون قد سببنا لك الإزعاج».

ـ لا. . فأنا أقضي وقتاً في لندن كل سنة. وأحب زيارة المسارح والتبضع.

وصمتت. . لتركز عينيها على پيج بتقييم خبيث: «ويجب أن أشكرك أنا أيضاً، صغيرتي».

ـ لست أفهم.

ـ الأمر بسيط. منذ سنوات وأنا أقول لحفيدي إن الوقت حان ليتزوج، ويستقر، لكنه اعتاد أن يقدّم لي أعذاراً. . كل ما كان بحاجة إليه هو أن يرى امرأة أحلامه. . لم أكن أعرف أنه قادر على مثل هذا الحماس الملتهب.

وابتسمت ابتسامة خفيفة: «تهنئتي لكما».

ولم تستطع پيج سوى أن تأمل أن تكون الجدة قد عزت احمرار وجهها الشديد إلى صغر سنها لا إلى الخجل من الذنب.

وضعت في حقيبتها ثياباً عادية؛ بنطلونات قصيرة، مع بلوزات قطنية، وثوبين رسمين للأمسيات. قالت لها السيدة دوشاريه إن المنزل ليس بعيداً عن البحر، لذا أضافت ثوب سباحة وبعض الأحذية المريحة كي تستطيع استكشاف الأراضي الريفية المحيطة به سيراً على الأقدام، أي عذر متوفر لتبتعد عن الرجل الذي لا زالت تجهل عنه الكثير.

لم تكن واثقة من أن كل هذا حقيقي، فقد بدا نك منذ البداية قادراً على التنبؤ بردات فعلها واستجاباتها بدقة مثيرة للاضطراب. وهذا لم يجعل صحبته سهلة، لكن. . ماذا يحصل لها؟ الصحبة الوحيدة التي يجب أن تهتم بها هي شركة هارينغتون. فمن أجلها أوقعت نفسها في هذه الورطة. . كي تنقذ

مستقبل الشركة.. وبكل تأكيد، هذا يستأهل التضحية لأجله.. أليس كذلك؟

تابعت توضيب أغراضها مكرهة، وهي تعض على شفتها. لو كانت توضب حقيبتها من أجل شهر عسل حقيقي، لوضعت كل الفساتين المزركشة الحريرية الشفافة، مع ملابس نوم بيضاء مثيرة من أجل الليل. لكن، والأمر على ما هو، كان خيارها للملابس عملياً تماماً.. وجيلاً.. لكن دون أثر للإغراء. وذكرت نفسها بسرعة، أن نك لن يرى شيئاً من هذا..

ارتدت فستاناً بسيطاً أزرق اللون، ومشطت شعرها لتفلته من تسريحة الزفاف. نظرة إلى المرآة قالت لها إنها تبدو هي ذاتها كما أبداً، وحده الخاتم في أصبعها يذكرها بأن حياتها تغيرت.

لكن ليس لوقت طويل، كما أقنعت نفسها بتصميم..

مستلقية في العتمة، تصغي إلى عويل الريح، وجدت پيج نفسها تفكر. قريباً.. ستنتهي العاصفة، وستتمكن من العودة إلى انكلترا وإلى سلامة العقل. هذا ما يجب أن تستمر في قوله لنفسها..

ما إن تصبح في ديارها حتى تبدأ برؤية الأمور بتعقل مرة أخرى. ومع كل يوم يمر ستقترب حريتها خطوة. كما أنه من السهل أكثر تجنب نك على أراضي المملكة المتحدة. على أي حال، لقد حوّلت الابتعاد عن طريقه إلى فن رفيع المستوى خلال الأشهر الماضية، والآن عليها أن تراوغه فكرياً كذلك. لذا، ستفعل ما اعتادته دائماً.. ستتوقف عن التفكير فيه. وستبعده عن دماغها بهدوء وتعمد، وتغلق الباب على الذكريات وتدير المفتاح. هذه هي طريقتها في التعامل مع ما حدث بينهما، وحتى الآن نجحت تماماً. ولسوف تنجح مرة أخرى.. والآن، كل ما تحتاجه هو قليل من قوة الإرادة.

أغمضت عينيها وتركت فكرها يطوف عائداً إلى الأيام والأسابيع القليلة الماضية. فكرت بجاك وآنجيلا، وسعادتهما.. وبهالة الكمال التي تحيط بهما. وهذا ما يجب أن يكون، طبعاً. وما يجب افتراضاً أن يكون عليه حالها، حين يصل الوقت الملائم، ويصبح هناك شخص ما في حياتها.

قالت لنفسها: عودي بفكرك إلى الوراء: إلى وقت كنت فيه سعيدة حقاً.

وركزي على هذا.

لكن هذه الطريقة لم تفعل فعلها الساحر هذه المرة، فهناك أشياء كثيرة تعترضها وتقف في الطريق. كما أن دماغها متعب على أي حال، ويدور في حلقة مفرغة، يلامس أطراف الذكرى من دون أن يستقر.

الراحة.. يا إلهي كم أنا بحاجة إلى الراحة. لكن كيف يمكن لها أن تنام مع صوت هذه الريح المولول؟

.. ثم نامت.

استيقظت ببطء وتثاقل. واستلقت للحظات تتساءل عما أزعجها بعد حوالى.. نظرت إلى ساعتها.. ساعتين؟

لكن يبدو أن نغماً جديداً انضم إلى جوقة الإعصار ولحنه الذي لا يهدأ. كانت السماء تمطر بقوة، وصوت الماء يسمع بقوة حتى ليبدو كأنه داخل الغرفة.

نظرت إلى الأعلى، كأنها تتوقع رؤية المطر وقد اخترق السقف وراح يتساقط على الأرض المبلطة قرب السرير. لكن الأرض كانت جافة. مع ذلك، فصوت جريان الماء يزداد قوة. رفعت پيج جسمها، على مرفق واحد وهي محتارة، ونظرت عبر الغرفة لترى باب الحمام مفتوحاً والنور فيه مضاء.

غريب.. يمكن أن تقسم أنها أغلقته.. وأطفأت النور.

أوه.. بمَ يهم هذا؟ لكن صوت الماء يأتي منه.. لذا يجب أن أعرف السبب.. أن أرى ما هي الأضرار.

نزلت عن السرير، وسارت حافية القدمين إلى باب الحمام، تدفعه لينفتح أكثر، وخطت خطوة حذرة إلى الداخل.

في اللحظة ذاتها توقف اندفاع الماء، وأطلّ نك برأسه وقطرات الماء تلمع على شعره ومدّ يده ليأخذ المنشفة.

سمعت پيج نفسها تصرخ، صوتاً صغيراً حاولت عبثاً خنقه بيدين مرتجفتين.

جمد نك لحظة، وقد رفع حاجبيه، ثم أخذ المنشفة.. وكأنه لا يزال

لوحده.

قالت بصوت لم تتعرف إليه: «كيف دخلت إلى هنا؟ وماذا تظن أنك تفعل بحق الله؟».

رد بنبرة باردة ومشدودة: «استخدمت مفتاحي، وأعتقد أن ما أفعله واضح».

وصمت، ليضيف برقة أكبر: «على أي حال، لم أقصد إيقاظك، وأنا آسف، أردت فقط أن أستحم قبل انقطاع الماء».

كررت پيج: «مفتاح؟ لديك مفتاح.. لهذه الغرفة؟».

ـ بالطبع.. هذا هو النظام. تستأجرين غرفة، فيعطونك مفتاحك.

قالت بصوت أجش: «لكن هذه غرفتي، استأجرها لي.. شخص ما».

هز نك رأسه: «أنت مخطئة حلوتي. هذه غرفتنا.. واستأجرتها لنا بنفسي».

ورماها بابتسامة ساخرة: «كنت آمل أن تهنئيني على بُعد نظري. كانت آخر غرفة لديهم».

ـ أنت فعلت هذا؟

كانت واثقة من أن براد هو من فعل هذا.. وكانت ممتنة له. والآن..

تراجعت إلى غرفة النوم، مسرعة حتى كادت تقع: «إذن، فلتكن لك وحدك».

لحق بها واستند إلى إطار الباب: «لا أنصحك».

ولاحظت بغضب أنه مسترخ وأكمل: «بعض الفقراء المحليين وصلوا إلى الفندق، والأمور قد تصبح أسوأ».

قالت ببرود: «مقارنة مع البقاء هنا، تبدو لي رائعة».

ضحك نك: «أعتقد أن هذه إشارة لي لكي أحني رأسي خجلاً وأترك لك الميدان، أو في هذه الحالة السرير. لكن هذا لن يحدث حبيبتي، فأنا باق هنا. وكذلك أنت، وإلا سأضطر إلى إعادتك، وأنا واثق من أن هذا لن يعجبك».

وصمت قليلاً: «هل أنا واضح في كلامي يا زوجتي الحلوة؟».

وبدا الصمت لا نهاية له.. وامتد إلى درجة الصراخ.. وإلى أبعد منه.

ثم، ومن مسافة بعيدة، سمعت پيج نفسها تقول: «أجل».

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ الحصار

استحسن نك الرد وقال بتكاسل: «قرار حكيم».

عضت پيج شفتها بقوة. كل شيء حوله عذاب لها، كأن الطبيعة كوّنته خصيصاً ليثير أعصابها.

قالت بصوت متحجر: «يجب أن أقتنع بهذا، وفي هذه الأثناء، ربما يمكنك أن تبدي القليل من الاحترام وترتدي بعض الثياب المحتشمة».

ارتفع حاجباه سخرية: «وهل أصبحت متكبرة حبيبتي؟ على أي حال، لقد رأيتني بثياب قليلة من قبل، أم أنك نسيت؟».

أرادت أن تصرخ به: لا.. لم أنس شيئاً عن تلك الليلة بعد زواجنا الصوري، كل التفاصيل موجودة في ذاكرتي وكأنها مطبوعة فيها.

لكن بدلاً من هذا هزت كتفيها وقالت: «هذه ليست ذكرى تهمني».

قال: «أنا آسف.. سأحاول ألا أزعجك خلال ما تبقى لنا من وقت معاً».

ونظر إليها متفرساً: «وأنت من ناحية أخرى، تبدين مبالغة في ثيابك».

قالت: «ليس حسب ذوقي».

وشكرت الله لأنها لم تخلع عنها البذلة.

قال بوقار: «كما تشائين.. لكنني أعرف أنك ستشعرين بالحرارة والرطوبة مع مرور الوقت. لذا أقترح أن تسترخي وتغيري ملابسك، ارتدي ثياباً مريحة.. واسترخي قليلاً».

ـ لا يكاد يكون هذا وضعاً مريحاً.

رد نك: «يمكنه أن يكون كذلك إذا شئنا. لكن تصرفك الحالي لن يساعد».

سمعت پيج صوتها يرتفع: «تصرفي؟ يا إلهي.. تقتحم المكان وأنا نائمة، ومن المفترض أن أتقبل هذا؟».

ضاقت العينان السوداوان تسلية، وقال بصوت منخفض: «كنت أفضّل أن ترحبي بالأمر، أو تستمتعي به. لكنني سأكتفي حالياً».

وصمت قليلاً: «خلافاً لأمنياتك، سأرتدي ثيابي، ثم سيكون الحمام لك. وأقترح أن تستخدمي الدوش في أسرع وقت، لأن مخزون الماء قد ينفد».

قالت: «شكراً لك، أنت منجم ذهب في النصائح الجيدة اليوم».

ـ بينما أنت حبيبتي، وعلى عكسي تماماً.. توشكين على الإنفجار.

والتوى فمه: «استحمي پيج، فقد يهدئك هذا. وقد نضطر إلى البقاء هنا لبعض الوقت».

ولم تستطع الجدال في هذا، فالريح التي تعصف حول المبنى تجعلها ترتعش وتتأوه، واستطاعت أن تسمع من بعيد، صوت الأبواب الداخلية وهي تصفق لتضيف ضجيجاً إلى الضجيج المجنون.. وأخافها هذا كثيراً.

فهي لم تحب في حياتها كل ما هو متطرف.. إنها تفضل الإعتدال، وتحب أن تكون مسيطرة على محيطها ومشاعرها، ويبدو الآن أن كل شيء ينفلت بخطورة من يدها.

رفعت پيج ذقنها: «هل تقترح هدنة مؤقتة؟».

ـ إذا كان هذا أفضل ما لديك.

ومرة أخرى لاحظت نظرات عينيه على جسمها المتصلب، وأكمل: «لكن سيكون لنا حديث جدي في نقطة ما».

انطلق جرس إنذار داخلي، وتحركت بحدة للاحتجاج: «لكلينا محامون يتقاضون أجوراً مرتفعة، ليقوموا بهذا عنا».

ـ لكنني أفضل الحديث المباشر. لذا فستضطرين إلى تقوية نفسك يا حبي.

ـ مُنّ علي بإلغاء تحبباتك.. هذا إذا كنت تريد للهدنة أن تنجح.

- أوه.. أريدها. وهي الأفضل لك، صدقيني.

سار إلى حقيبته المفتوحة وأخرج ثيابه؛ بنطلوناً بلون أزرق شاحب وقميصاً أبيض، وقال متمتماً: «أرجو أن تكون هذه كافية لتوفير الاحمرار عليك».

ولم ترد. وما إن أقفل باب الحمام خلفه حتى جلست پيج على حافة السرير، تمسك طرف الغطاء بيدين متشنجتين، في جهد خائب لإيقافهما عن الارتجاف.

هذا كابوس. ولكنها لا تملك حتى الأمل بأن تستيقظ منه قريباً. كما لم تستطع الإحساس بالامتنان لأن نك وفر لها ملاذاً مريحاً من العاصفة، فالخبرة علمتها بأنه لا يفعل هذا عن طيبة قلب، وهي لا تريد أن تخمن دوافعه الحقيقية.

أحست وكأن فخاً نصب لها وقد سارت إليه مباشرة. وفكرت بمرارة: كان يجب أن أعرف، منذ رأيته في نادي وانرفرونت، أنني لن أنجو دون إصابات. كنا كبركان على وشك الانفجار، ولولا إعصار «مينا» لاختلف الأمر، لكن هذه العاصفة اللعينة أفادته، ككل شيء آخر في حياته.

طرقة حادة على باب غرفة النوم جعلتها تقف على قدميها.. أيكون هذا الطارق شخص جاء ليقول لها إن كل ما حصل غلطة، إن ثمة غرفة أخرى لها في مكان ما؟ لكن حين فتحت الباب وجدت ساقياً متوتر المظهر مع عربة طعام لخدمة الغرف. دفع الرجل العربة إلى الغرفة، وقدم لها فاتورة: «سيدة ديستراي؟ وقعي أرجوك».

للحظة حدقت فيه محتارة لاستخدامه اسم زوجها: «أنا لم أطلب شيئاً..».

- لا.. سيدتي. زوجك هو الذي طلب.

زوجك.. بإمكاني الاستغناء عن التذكير المستمر بذلك، وقعت الحساب، ومدت يدها إلى حقيبتها لتعطي الساقي البقشيش، لكنه سرعان ما ذهب.

بدأت پيج برفع الأغطية عن الأطباق المتنوعة؛ سندويشات دجاج، سلطة قريدس مع الأرز، فضلاً عن طبق من الأناناس الطازج المقطع، وإبريق قهوة، وإبريق عصير، وحفنة شموع وعلبة ثقاب.

خرج نك من الحمام: «آه.. الطعام».

ودفع الشعر الأسود المبلل عن جبينه: «كانت الأمور مضطربة جداً في الأسفل، وتساءلت عما إذا كان الطعام سيصلنا».

كانت الأزرار العليا لقميصه غير مزررة، وبدا القماش الشاحب متناقضاً مع لون بشرته الشديدة السمرة.

مهما كان يرتدي، ما من مجال لإنكار قوته الجسدية، وجاذبيته.

أشارت پيج إلى العربة: «ما كل هذا؟».

- مؤونة الحصار.

- كنت أشير إلى الشموع.

- للاستعمال عند انقطاع الكهرباء.

ورماها بابتسامة عريضة: «أم فكرت أنني أخطط لوجبة طعام رومانسية على ضوء الشموع؟ لا يزال الوقت منتصف النهار. وأنا أعمل بشكل أفضل في المساء».

كانت التخمينات قد أخذتها فعلاً في هذا الاتجاه، كما أدركت بانزعاج، فعلا خديها احمرار وبدأت الكلام بسرعة مرة أخرى: «هل تظن أن هذا سيحدث؟».

- أيهما.. ؟ العشاء الحميم أم الكهرباء؟

زاد عمق احمرارها: «انقطاع الطاقة طبعاً».

هز نك كتفيه: «هذا معروف، والتيار البديل هو مولد غريب الأطوار. لذا فالفندق يستعدّ مسبقاً للطوارىء».

نظرت پيج بقلق نحو مصاريع النوافذ، بينما كانت الريح تضربها بقوة من جديد: «لا شيء هنا يبدو آمناً».

- وهل تخافين أن يتحطم الفندق؟ لا تخافي، لقد تحمل أسوأ من هذه العاصفة عبر السنين، لذا يميل الناس إلى استخدامه كملاذ.

وابتسم مرة أخرى، لكن بلطف أكثر: «أنت لست في خطر حقيقي، الأرجح أن تموتي من الضجر لا أن ترميك زوبعة.. أعدك بهذا».

حركت شفتين متصلبتين بما يشبه الرد: «أجل.. أنا واثقة من أنك على

حق.. ربما سأستحم، طالما أنا قادرة على هذا».

تحركت بخجل لتفتح حقيبتها وتجد ملابسها الداخلية.. لكن نك، كما كشفت نظرتها الجانبية، لم يكن يتطلع نحوها، بل تمدد على السرير وبدا أنه مستغرق في قراءة كتاب.

وعلقت پيج ببرود وهي تمر به إلى الحمام: «أرجوك.. تصرف وكأنك في بيتك».

قال دون أن يرفع عينيه: «شكراً، واسمحي لي أن أبادلك بالمثل».

وراعها أن تكتشف أن قفل باب الحمام غير مناسب، ومكسور.

كان بإمكانه أن يذكر لي هذا. لكن نك كما هو واضح، لا يزعج نفسه بتفاهات كهذه، أو لعله لم يلاحظ.

على أي حال، فإن تصرفه العادي لم يخفف من قلقها، لأنها تعرف أن الخطر الحقيقي لا دخل له أبداً بالطقس، بل موجود على بضع خطوات منها خلف باب لا تستطيع إقفاله، وخلعت ملابسها.

هذه أول مرة يكونان فيها وحيدين في مكان حميم منذ كارثة شهر العسل تلك.. أدركت پيج هذا وهي تقف تحت سيل الماء. لقد أقسمت يومها على ألا يتكرر ما جرى.. مع ذلك، ها هي مرة أخرى، لكن ليس بغلطة منها.

يُقال إن الزمن كفيل بشفاء الجروح.. مع ذلك فألم الذكرى للوقت القصير الذي أمضياه معاً كان لا يزال حاضراً. أحست بدموع مفاجئة غير متوقعة تحرق عينيها.. ورفعت وجهها إلى الماء لتغسل دليل كربها. إنه جرح سرّي، جرح عليها أن تخفيه عن نك بأي ثمن. أوليس هذا هو سبب خروجها عن مألوفها لتتجنبه خلال هذه الأشهر الطويلة؟

أقفلت الماء، ودفعت الباب تفتحه. كان هناك مرآة على الجدار المبلط في مواجهتها مباشرة. وللحظة وقفت مرتبكة تقريباً، تنظر إلى نفسها.. إلى جسمها الذي لا يثير الرغبة.

لم يكن جسمها نحيلاً وحسب، بل هزيلاً.. عظام نافرة أسفل عنقها، خصر نحيل، معدة تكاد تكون مجوفة، وعظام أوراك حادة دون رشاقة. هذا ما

رفضه نك. پيج هارينغتون.. غير المرغوب بها.. وغير المثيرة.

ضاقت حنجرتها وشعرت بألم غير مريح. وفجأة ارتجف النور فوق رأسها وانطفأ، ليتركها عالقة في ظلام دامس.

كانت تعرف أن هذا قد يحدث، لكنها لم تستطع منع نفسها من الصراخ في ذعر مفاجيء وغريزي. ووقفت جامدة، خائفة حتى من أن تخطو خطوة واحدة في أي اتجاه، خائفة من أن تتعثر وتقع أو أن تنزلق على الأرض الرطبة وتؤذي نفسها. لم تكن قادرة على رؤية شيء في الظلام الدامس، أو سماع شيء، أو حتى التفكير بوضوح، فجمدت في مكانها.

سمعت الباب ينفتح، وصوت نك يقول: «پيج.. هل أنت بخير؟».

ردت بصوت مرتجف: «أجل.. لكنني عالقة هنا.. هذا غباء كبير.. لكن.. لا أجرؤ على الحركة».

ـ مهلك لحظة.. سأضيء إحدى الشموع.

صاحت بكرب، لتفضح نفسها دون عمد: «لا.. لا.. لا يمكنك هذا».

ساد صمت ثم قال: «حسن جداً.. يجب علي أن أخرجك من هناك بطريقة ما. هل لا زلت تحت الدوش؟».

ـ أجل.

وكانت تتمسك بحافة باب الدوش بقوة آلمت أصابعها.

ـ إذن مدي يدك وسأصل إليك.

لا.. لكن هذه المرة كان الرفض صامتاً، وداخلياً.

ابتلعت ريقها: «أفضّل أن أنتظر.. ربما كان الانقطاع مؤقتاً..».

ـ تعنين مثل هدنتنا.

وكان في رنة صوته شيء من السخرية: «لا تكوني حمقاء.. لا يمكنك الوقوف هناك وأنت ترتجفين».

أحست بحركة أمامها، ومدت يدها لتشعر بحرارة بشرته تحت القميص الرقيق.. إنه قريب بشكل مرعب.

ـ فتاة طيبة.

وارتفعت يده تمسك أصابعها قبل أن تتمكن من سحبها.. وهي ترتجف. أحست به يلمس ذراعها، ثم كتفها: «والآن. أعتقد أن هذه أسهل طريقة.. لكن لأجل الله، لا تتلوي، فأنت مبللة».

وقبل أن تنطق بكلمة احتجاج، انزلقت يداه إلى خصرها، وأمسكها بحزم ليحملها نحو الشكل المعتم للباب. واستشاطت غضباً في داخلها.

رائحة بشرته ملأت أنفها وفمها، وفي أعماقها، أحست بذلك الألم المرتجف الحلو الذي ظنت أنها تمكنت من محوه إلى الأبد.

محنة، لم تدم سوى بضع ثوان.. لكنها بدت كساعات قبل أن تشعر بجسمها ينزل ويواجه برودة الأرض تحت قدميها الحافيتين. أخذت نفساً مرتجفاً، وقالت بصوت منخفض: «لم يكن هناك.. حقاً.. داع لهذا».

ـ حسن جداً، هنا نختلف، ألم تقولي لي مرة إنك تكرهين الظلام؟

اعترفت مكرهة وهي مندهشة لتذكره ذلك: «أجل.. لكن حتى ولو..».

تابع كلامه: «بدوت هستيرية. لذا تطلّب الأمر تدخلاً عاجلاً. في هذه الأثناء.. استفيدي من هذه».

أحست بنعومة منشفة حول كتفيها: «ما هذه؟».

قال نك: «إنه روب حمام. وقبل أن تسألي، إنه ليس لي، بل للفندق..».

ـ شكراً لك.

دست پيج ذراعيها في الكمين وفتشت عن الرباط، وتابعت متصلبة: «تجعلني أبدو ناكرة للجميل. وأنا لا أنوي هذا، أنا.. أنا واثقة أن نيتك طيبة».

قال بصوت منخفض: «ربما.. أو ربما أردت ببساطة أن أعرف ما إذا كانت بشرتك لا تزال ناعمة، كالحرير البارد و.. اغتنمت الفرصة».

ولم تعد پيج باردة، كانت تحترق من الخجل والسخط ومزيج من مشاعر أخرى قد يكون من الحكمة ألا تحللها.

انفرجت شفتاها في غضب لتعطي تعليقاً لاذعاً، يتذكّره بقية حياته.. لكن الكلمات المناسبة لم تخرج. وأخيراً، كل ما استطاعت قوله بوداعة: «أنت

حقير».

ضحك قائلاً: «لا حبيبتي.. أنا من مستغلي الفرص، وهذا سر نجاحي. والآن، أكنت جاهزة أم لا، سوف أشعل بعض الشموع».

بقيت حيث هي، وذراعاها مطويتان حول جسمها في حركة دفاعية، تراقبه بعدوانية مع اشتعال كل شمعة. وضع شمعة على كل من الطاولتين الصغيرتين قرب السرير وأخرى على خزانة الملابس، والرابعة على عربة الطعام ذاتها.

ما إن انتهى نك حتى قال: «هاك.. الجو المكتمل لوجبة طعام حميمة وحديث عائلي مرضٍ».

كان يمكن أن تشعر بسعادة كبيرة لو قالت له إنها ليست جائعة، وان تحتفظ بطعامه لنفسه.. لكن هذا سيكون نصراً بائساً، لأنها ستنتهي ببساطة بمراقبته يأكل، وهي تتضور جوعاً.

ببرود، جلست على الكرسي الذي أشار إليها وقبلت المنديل الذي قدمه لها. وصب نك العصير في الكوبين ثم قال: «فلنشرب نخباً.. لتفاهم أفضل بيننا».

ارتشفت پيج العصير على مضض: «وهل من الضروري أن نتفاهم.. ولو للمدة القصيرة المتبقية؟».

ـ تتكلمين وكأنني سأختفي فجأة من حياتك.. مع ذلك.. أكنا متزوجين أم مطلّقين، سنبقى مرتبطين مهنياً.

هزت كتفها: «فقط حين تكون في شركة هارينغتون.. ومن يستطيع التكهن كم ستطول المدة؟».

قدم لها السندويشات قائلاً: «أتخططين لانقلاب حبيبتي؟».

ـ لقد عنيت ببساطة أن الأمور تسير بشكل أفضل الآن. ولم نعد بحاجة إلى اهتمامك.. هكذا ستتمكن من العودة إلى.. مهما كنت تفعله من قبل.

ـ هل ترغبين بأن أخبرك عما كنت أفعله من قبل؟

أنهت سندويشها وأخذت واحداً آخر: «لا».

ـ ألا تؤمنين بأن الزوجة يجب أن تهتم بحياة زوجها العملية؟

ـ ربما.. إذا كان زواجهما حقيقياً.. وهذا لا ينطبق علينا.

قال بصوت منخفض: «هذا صحيح. على أي حال، لم يمنعني هذا من إلقاء نظرة على طريقة كسبك للقمة عيشك في السنة الماضية، ووجدتها فاتنة جداً».

ـ شكراً لك، كان عليّ أن أتعلم بسرعة.

ـ وواضح أنك تلميذة شديدة الذكاء.

وبدا أن فمه اشتد قساوة فجأة، أم أنه تأثير الشموع؟

قالت مترددة: «لم يكن الأمر سهلاً دائماً».

فراتبها لم يخفّض وحسب، بل مرت أوقات اضطرت فيها للتعامل بجدية مع الدعاية السيئة، وأحست كمن يحاول أن يسد السد بإصبعه ليمنع الطوفان. بينما بدا وكأن توبي يستفيد من عدم التواصل بينهما.

ـ حسن جداً.. سنرى ماذا يمكن لمجلس الإدارة أن يفعل ليخفف عنك الحمل.

هل هي مخطئة، أم أنها تتصور السخرية في رنة صوته؟ كان هناك أشياء سرية لم تستطع فهمها.. منذ أول لقاء لهما على الشاطىء.

وأقنعت پيج نفسها أنها مرهقة الأعصاب، وأن تفكيرها يتلاعب بها.

بالتأكيد، من حقها أن تكون ردة فعلها عصبية، أمام الوضع الراهن. لكن في ذات الوقت، من المهم أن تترك نك يعتقد أنها هادئة ومسيطرة على نفسها.

قال، ووجهه الأسمر يتساءل: «أنت هادئة جداً».

هزت پيج كتفيها وردت بشيء من التحدّي: «لست جيدة كثيراً مع الغرباء».

ارتفع حاجبا نك: «هل هذا رأيك فينا؟».

ـ في الواقع.. أنا لا أرى «نحن» أبداً.

قال: «مع ذلك، أنا جزء من حياتك، وسأبقى هكذا في المستقبل المنظور. ويبدو لي أنه يجب أن نمدد مدة الهدنة بيننا إلى ما بعد مغادرة هذه الغرفة، وأن ننظر إلى المستقبل الآن».

قالت باختصار: «أعتقد أن الحاضر هو كل ما أستطيع تحمّله».

من مكان ما في الأسفل، تعالى صوت صراخ وتحطم زجاج. وأجفلت پيج: «ماذا حدث؟ هل تزداد العاصفة سوءاً؟».

هز نك كتفيه: «أعتقد أن أحد النزلاء يحاول أن يخفف عن نفسه.. أنت حقاً أفضل حالاً هنا».

رفعت ذقنها: «من الطبيعي أن تفكر هكذا. لكنني قادرة على العناية بنفسي».

أحنى رأسه بوقار ومرر لها طبق المعجنات: «أقترح أن تبقي قوتك.. في حالة الاستعداد».

أخذت قطعة وهي تنظر إليه بتمرد.

أكلا وشربا بصمت لبضع لحظات ثم قالت پيج: «إلى متى تعتقد أننا سنبقى.. محتجزين هكذا؟».

ـ هل بدأت صحبتي تضجرك؟ يجب أن أحاول تسليتك أكثر.

تراجع في كرسيه: «والآن.. ماذا يمكن أن أقترح لأجعل الاثنتي عشرة ساعة القادمة تمر بسرعة أكبر؟».

ولم يلق نظرة نحو السرير. لم يكن بحاجة إلى هذا، كما أدركت پيج بقلب متسارع النبضات. فالتلميح واضح في رنة صوته..

دفعت نفسها للكلام ببرود: «حسناً.. أرجوك لا تشغل بالك بسببي، هل تظن حقاً أننا سنبقى هنا لاثنتي عشرة ساعة أخرى؟».

ـ تخمينك جيد مثل تخميني.

وأخذ قطعة أناناس: «مثل معظم النساء، تبرهن «مينا» أنه لا يمكن التنبؤ بما ستفعل».

اشتد ضغط فمها: «وهل نحن بحاجة حقاً إلى التعليقات اللاذعة؟».

قال نك: «ربما لا. لكنني أتمتع برؤيتك تعلقين في الطعم.. بالتأكيد، لن تحرميني من هذه السعادة الوحيدة في زواجنا؟».

أوه.. يا إلهي.. وأحست بحنجرتها تنطبق. هذا غير منصف، إنه هو

الذي تراجع، هو الذي وضع الحدود. ولديها ندوب تبرهن هذا، ذكرى أعظم إذلال لها في حياتها. ولا يمكن أن يكون قد نسي.

لكنها لن تذكره.

متململة، دفعت پيج كرسيها إلى الوراء ووقفت.

ـ هل تخططين لنزهة سيراً على القدمين؟

ردت باختصار: «لآتي بثيابي فقط».

ـ ولم تزعجين نفسك؟ يبدو الروب جيداً عليك.

وسخرت ابتسامته من اللون الأحمر الذي علا وجهها: «أفضل أن أرتدي ثياباً ملائمة».

ـ وهل تشعرين بأنك معرضة للخطر حبيبتي؟

هذا اعتراف خطير.

ـ لا شيء من هذا. لكن، كما تقول أنت، هذا منتصف النهار، وأنا لست معتادة على التجول بتكاسل في روب الحمام في مثل هذه الساعة.

نظر إليها بجفاء وهو يمسك إبريق القهوة: «هيا، ارتدي ملابسك إذا كان هذا يجعلك تشعرين أنك أفضل حالاً».

ردت بصوت يرتجف: «لم أكن أعرف أنني أحتاج إلى إذن منك».

قال نك بهدوء: «لا.. لكن نواياي الطيبة قد تكون لها حدود.. وكذلك صبري».

سألت ببرود: «هل هذا تهديد؟».

التوى فمه: «بل هذا تحذير من صديق.. فهذه ظروف غير عادية لذا لا تلعبي بالنار».

قالت: «هذا موقف من اختراعك».

ـ لست مذنباً پيج.. ليس لي سيطرة على الطقس.

قالت: «لا يمكن أن يكون هذا إلا بُعد نظر غير مقصود. يبدو أنك قادر على معالجة كل شيء آخر بالطريقة التي تريدها».

رد نك بهدوء: «لو كان هذا صحيحاً، لما كنت مضطراً لانتظار تدخل

الإعصار «مينا» كي أكون وحدي معك».

بدا أن الكلمات تصل إلى وعيها مثل سقوط الحجارة في بركة، لتنتشر الدوائر بصمت ودون رحمة. وتسارعت دقات قلبها فجأة وهي تجبر نفسها على مقابلة نظرته الصريحة، وأحست بقشعريرة مفاجئة صدمتها.

قالت: «وهذا سبب آخر ممتاز لأكرهك».

ثم ابتعدت وهي تتظاهر بالهدوء، فالتقطت شمعة من على عربة الطعام، وحملتها إلى الحمام وأغلقت الباب خلفها. استندت إلى خشب الباب المطمئن وأنفاسها خفيفة وسريعة. كانت أصابع يدها مضغوطة بشكل مؤلم على فمها، وهي تكافح لتسيطر على نفسها. كانت ترتجف كثيراً بحيث أدركت أنها يمكن أن توقع الشمعة، أو على الأقل أن تسكب الشمع السائل الساخن عليها. تحركت ببطء وحذر، ووضعت الصحن الصغير على الرف فوق المغسلة. واستعادت ملابسها، واحتضنتها بذعر.

وارتعبت من ردة فعلها، ومن غبائها، ألم تتعلم شيئاً من الماضي؟ لا شيء أبداً؟

نك لا يريدها. هذه هي الحقيقة البسيطة.. ولأسباب لا يمكنها فهمها، كان يتلاعب بها. لكنها لن تستطيع تحمله أكثر من ذلك. ستضطر إلى وضع حد لهذا بطريقة ما، وإلا فقد تواجه لحظة أخرى من الخداع الذاتي المؤلم.

قالت پيج لنفسها دون تحيز: لا بد أن هناك نوع من الكبرياء الرجولي في تصرفه. ولا بد أن ما يغيظه هو أن يجد نفسه متزوجاً من امرأة من بين قلة من النساء في العالم، تجد سهولة في مقاومته.

وهذا ما أوصلهما إلى الإخفاق في شهر عسلهما، وفكرت بهذا متألمة وهي تمشط شعرها المتشابك. إن عجرفته تدفعه إلى أن يبرهن لنفسه أنها له لياخذها.

لكنه في النهاية لم يعد يهتم بما يكفي لأن.. يأخذ. وتركها مصدومة مجروحة تلف نفسها بخرق من احترام الذات.

همست لنفسها: «لن يفعل هذا بي أبداً مرة أخرى».

* * *

٧ ـ وحيدة في الظلام

في الخارج، بدا أن الفوضى عارمة.. لكن في الغرفة، كانت بيج تعي سكوناً غريباً، منفصلاً تماماً عن العوامل الأخرى، لكنه مقلق.

أحست كأنها لوحدها. لم تكن قادرة على رؤية نك، أو الإحساس بأي نوع من الحركة. لكنها عرفت أنه هنا، على بُعد أقدام منها.. لأن كل أحاسيسها، كل عصب متحرك في جسدها، كانت تقول لها هذا.

تحركت قليلاً وبهدوء، كي لا تلفت انتباهه إليها. واندست في الفراش وكأنها تحاول الاختفاء عن الأنظار..

لم تعد الغرفة، تبدو لها محيطاً معادياً. وتستطيع، إذا أرادت، أن تصف كل بلاطة من الأرض، وألوان القماش وكل قطعة من الأثاث. بضع ساعات أخرى هنا وستتمكن على الأرجح من حفر اسمها على الجدران، وتسلقها كذلك.

تعرف أنّ عليها أن تحاول الاسترخاء، والنوم. فهذه هي الطريقة الوحيدة لتحمل ساعات الانتظار ليمر الإعصار.. لكنها كانت تعي جداً قرب نك منها.

كان يجب، بالطبع، أن ترفض مرافقة نك إلى النورماندي، وأن توضح له أن شهر العسل أمر محال، لا يمكن التفكير فيه. حتى في المطار، لم يكن الوقت قد فات. كان بإمكانها بكل بساطة أن تبتعد وتأخذ سيارة أجرة لتعود إلى لندن.

إذن لماذا لم أفعل؟ وعضت شفتها. هل هو الخوف من الفضيحة؟ أو من المضاعفات؟ حسن جداً.. ربما، لكن لو كانت صادقة لأدركت بأن هناك

عاملاً آخر في المعادلة، أشعلته ذكرى ذاك العناق المذهل.

إنه الفضول. أقنعت نفسها بقلق، هذا ما كان الأمر عليه.

ولو أنها يومها، ادعت أن هذا له علاقة بالنورماندي ذاتها، والتي لم تزرها من قبل، وأنها أثارت فضولها. كذلك منزل جدته، الذي شكّل أول مفاجأة لها.

لم تكن تتوقع رؤية القصر الرمادي، الأنيق، المتنصب بفخر عند طرف طريق خاص به محفوف بالأشجار.

قال نك باقتضاب بينما كان انطوان، الرجل المسن الذي استقبلهما في المطار، يوقف السيارة أمام الباب الأمامي الخشبي السميك: «المكان هادىء جداً هنا.. فكرت أننا سنحتاج إلى بعض الهدوء.. لكن، إذا كنت تكرهين هذا حقاً، فبإمكاننا أن نذهب إلى باريس».

قالت، وكانت تعني ما تقول: «إنه جميل.. وكبير بشكل لا يصدق».

ـ أجل. مع شيء من الحظ، يمكن أن نقضي الأسبوع كله دون أن تقع عينا أحدنا على الآخر.

قال بيج بصوت مخنوق: «أجل».

كانت تريد أن تسأل عن ترتيبات النوم، لكنها لم تجرؤ.

عند نزولها من السيارة خرجت من المنزل امرأة بدينة وقد ارتسمت الإبتسامة على وجهها. فقال نك بصوت منخفض: «هذه هورتنيز، مدبرة منزل جدتي».

وغمره الحضن المترهل فاستسلم له وهو يضحك.

حين جاء دورها، وجدت بيج نفسها تخضع لتقييم من عينين سوداوين لامعتين، وبسرعة، جاء الحكم المتصلب: «نحيلة جداً، يجب إطعامها جيداً، لكي تنجب أطفالاً أقوياء».

اصطبغ خدا بيج بلون قرمزي، وسارت إلى داخل المنزل وهي تتجنب نظرة نك الساخرة.

وسرعان ما اكتشفت أن هورتنيز هي فعلاً المحور الرئيسي للمؤسسة..

فهي تبقي المنزل في حالة ممتازة وتحضّر وجبات طعام غنية ولذيذة، بينما يعمل انطوان، زوجها في الحدائق، مع مجموعة من المساعدين..

ولراحة بيج، لم تعلّق مدبرة المنزل حين أرتها غرفة النوم الكبيرة في الطابق الأول، بمفارشها البيضاء الناعمة المعطرة بالخزامى، والتي ستحتلها منفردة بكل أبهة. ثم أشارت إلى غرفة ملاصقة محضرة لنك. لكن صمتها كان يقول الكثير. فمن الواضح أنها تفضّل نوم المتزوجين حديثاً بين ذراعي بعضهما، وليس في غرفتين منفصلتين.

بدت الملابس القليلة التي جاءت بها ضائعة في الخزانة الضخمة التي تشبه الكهف. لكنها كانت مبتهجة لأنها جاءت بثوب سباحة، حين أراها نك بركة السباحة الفخمة في مؤخرة المنزل.

سألت بدهشة: «وهل بنتها جدتك؟».

هز نك رأسه: «قبل أن تنتقل إلى هنا، استأجر اميركيون البيت لمدة طويلة، وكل ما كانت جدتي تفعله هو أن تعطيهم الإذن..».

وأخذت تحسب بعجب الكلفة، وحمدت الله لأن دنيس لن تستطيع رؤية هذا وإلا سيكون الحفارون غداً في منزل هارينغتون.

تابع نك: «العشاء في الساعة الثامنة، وسأتوقع أن تنضمي إلي».

- وهل هذا ضروري حقاً؟ أنا.. أنا لست جائعة.

قيّمتها نظرته ببرود: «ولديك كذلك صداع، إضافة إلى إعياء في الأطراف بسبب الرحلة.. صحيح؟».

وهز رأسه: «إنسي الأمر بيج.. فهذه ليلة زواجنا، وستتعب هورتنيز لتحضير عشاء خاص للاحتفال، ولن يُطلب منك الإذعان إلى أي من الواجبات الزوجية الأخرى المتعلقة بهذه المناسبة».

ثم أضاف بحدة: «لكنك ستظهرين وقت الوجبات، وتكونين متمدنة، هل هذا واضح؟».

والتقت عيونهما.. بتصادم. لكن بيج كانت الأولى التي أشاحت نظرها وقد تشنّجت عضلات حنجرتها بتوتر.

قالت بصوت أجش: «واضح كالكريستال».

ثم استدارت لتسير بعيداً عنه، وهي تعي أن قلبها يخفق بسرعة، وأن دموعاً تخز جفنيها.

بعد هذا، توقعت أن يكون شهر العسل كابوساً معذباً من الارتباك والإحراج. لكنه لم يكن كذلك.. ولو أن أول وجبة طعام لهما معاً كانت مناسبة صعبة. وأحست أن ما يحيط بها من أجواء رسمية في غرفة الطعام، كان ثقيل الوطأة.

لكن، وبالرغم من فقدانها للشهية، وجدت بيج أنه من المستحيل أن تقاوم طبق الدجاج الذي قدمته هورتنيز، والمطهو مع التفاح وعصيره، أو حلوى «توت العليق» التي تبعته. وربما كذلك اختيار نك الممتاز لمواضيع الحديث، أثناء الطعام. تحدث نك بطريقة عفوية عن مواضيع عامة، ولم يبدِ انزعاجاً من ردودها المختصرة. ولم يجهد نفسه لمنعها حين أنهت قهوتها ووقفت، تتمتم بشيء غير مفهوم عن النوم باكراً.

وكانت ابتسامته مهذبة ببرود: «ليلة سعيدة بيج، نامي جيداً».

- شكراً لك.

وهربت... كان الباب المشترك بين غرفتيهما مقفلاً كما اكتشفت حين جربته بتردد. لكن ما لم يطمئنها هو أن المفتاح كان في الجانب الآخر منه. كانت متعبة حقاً، لكنها ظلت مستيقظة ومتوترة، تنتظر ظهور شعاع النور من تحت عقب الباب، لتعرف أن نك قد عاد لينام.

حتى بعد أن اختفى ذلك الشعاع من النور، ولم يعد هناك سوى نور القمر يتسلل عبر النوافذ، مرت ساعة قبل أن تشعر بيج بأمان يكفي لتغمض عينيها، وتسلم نفسها للنوم.

استفاقت على أشعة شمس مشرقة، و «كرواسان» مع كمية كبيرة من مربى الكرز، وإبريق قهوة مع الحليب، قدمت لها على التراس.

قالت هورتنيز وشفتاها مزمومتان قليلاً إن السيد تناول الطعام باكراً وأخذ السيارة إلى «كاين» وإنه سيعود وقت الغداء.

هكذا تركت لوحدها لتفعل ما تشاء، وأدركت هذا بارتباك.. لا بد أن نك كان يعني ما يقول حين تحدّث عن بقائهما بعيدين عن بعضهما. وهذا بالضبط ما تريده، بالطبع.

مع ذلك، فقد أحست بأنها ضائعة وهي تتجول في المكان، أثناء محاولتها التأقلم قليلاً مع المنزل. ووجدت أن غرفة الطعام منفرة قليلاً، لكنها أحبت «الصالون» الكبير بمدفأته الضخمة، التي كانت فارغة الآن بالطبع.

كانت الأرائك والمقاعد مختارة بعين تسعى للراحة لا للفخامة. لذا، وبالرغم من كبر حجمها كانت الغرفة توحي بالدفء مما راق لبيج. رأت طاولة مستديرة صغيرة، لها سطح متحرك، حين رفعته بيج أدركت أنها طاولة خياطة. وجدت فيها قطع من تطاريز شبه منتهية بورود رائعة مكتملة على خلفية من القماش العاجي اللون. إنها رائعة الجمال.. ولامست بيج الغرز الدقيقة.

سمعت صوتاً خفيفاً، فاستدارت لتجد أن نك يقف بالباب ويراقبها. كان حاجباه مرفوعين قليلاً، وهو يبتسم.

ابتلعت بيج ريقها، وأعادت التطريز إلى مكانه وأقفلت سطح الطاولة: «أنا.. لم أعرف أنك عدت».

ـ كان الطقس في «كاين» حاراً والمكان مزدحماً. فقررت العودة باكراً لأسبح قبل الغداء، هل تودين الانضمام إلي؟

كان بإمكانها أن ترفض وأن تعزز سياسة التجنب التي بدأ بها هو لكنها وبدلاً من ذلك، سمعت نفسها تقول: «سيكون هذا.. رائعاً».

ـ جيد.. إذن سأراك قرب البركة.

وابتسم لها بسرعة واختفى.

وقفت بيج جامدة، تعي أن أنفاسها قد تسارعت. وفكرت أن هذا لم يكن القرار الأكثر حكمة من بين ما اتخذته من قرارات. تستطيع أن تبقى حيث هي.. وأن تقول له إنها غيرت رأيها. لكنها لم تكن تريد أن تعطيه الانطباع بأنها تجد رفقته مثيرة للاضطراب.. أليس كذلك؟ أو أنها خائفة من الانضمام إليه؟ كان عليها أن تقلد تصرفه الهادىء.. وأن تشعره بعدم اكتراثها بوجوده.

وقالت في سرّها أنها مجرد سباحة، وصعدت إلى الطابق الأعلى لتغير ثيابها.

كان نك في البركة حين وصلتها، وأحست بالخجل وهي تخلع دثارها، وشعرت بأن ثوب سباحتها الأسود البسيط المكون من قطعة واحدة، هو أقل ما يمكن أن ترتديه أمامه.

لكن ما إن أصبحت في الماء، وحملتها ضرباتها المنتظمة القوية من جانب البركة إلى الآخر حتى نسيت كل شيء ما عدا المتعة في لحظتها. وجاء نك يسبح إلى جانبها، لا منافساً، بل مبطئاً ضرباته القوية لتحاكي ضرباتها.

أخيراً توقّفت ضاحكة مقطوعة الأنفاس عند طرف البركة: «كان هذا عظيماً».

ضحك، ودفع شعره المبلل إلى الوراء عن جبينه: «ظننت أنني سأجدك هنا حين عدت. كيف استطعت أن تقاومي طويلاً؟».

ـ تمتعت بالتفرج على المنزل، إنه مكان مذهل. هل هو قديم جداً؟

ـ أجزاء منه قديمة. كان دون شك موجوداً حين قام هنري الخامس بزيارته الشهيرة. لكنه نجا من هذا، كما نجا من الثورة في ما بعد. وبطريقة ما، نجا خلال الحرب الأخيرة، مع أن الألمان. وبعدهم البريطانيين والأميركيين قد احتلوه.

وصمت قليلاً: «يجب أن تطلبي من جدتي أن تخبرك عنه. كانت فتاة صغيرة يومها، لكنها انضمت إلى المقاومة المحلية، ولديها قصص رائعة عن تلك الحقبة».

وتذكرت بيج المظهر المتصلب والنظرة الثاقبة وهزت رأسها: «أجل.. أنا واثقة من هذا. ولا أعتقد أنني شجاعة جداً».

قال نك بنعومة: «مع ذلك، تزوجت من غريب، قد يظن الكثيرون أن هذه شجاعة مجنونة».

رفعت كتفاً بطريقة دفاعية: «أو مجرد جنون.. على أي حال، هذا زواج غير حقيقي».

قال بوقار: «شكراً لك على تذكيري بهذا. لكنه لم يكن ضرورياً.. فلن

أنسى».

وساد صمت متوتر ورنان، وكأن تياراً كهربائياً مر في الماء بينهما، ثم شد نك نفسه ليخرج من البركة في حركة واحدة رشيقة، وأخذ المنشفة ليرميها على كتفيه.

ـ لقد اقترب وقت الغداء، ومن الأفضل ألا نبقي هورتنيز منتظرة.

أحست پيج بالصدمة وبجفاف في فمها لدى رؤيتها لرجولته الرشيقة ثم استدارت وبدأت تسبح ببطء إلى الجانب الآخر، حيث تركت أغراضها.

من الآن وصاعداً، من الأفضل أن تسبح حين يكون نك بعيداً عن طريقها، فذلك أكثر أماناً.

لكن مع مرور الساعات والأيام، وجدت پيج أنها بدأت تستمتع بوقتها. كان نك يبتعد عن المنزل لفترة طويلة كل يوم. لكن، لم يمض وقت طويل قبل أن تجد نفسها وهي تترقب عودته، وتصغي لتسمع صوته في الردهة، وصدى خطواته على الأرض الحجرية. كانت تحرص على ألا تسأل أين كان، أو تعلّق إذا تأخر في العودة، بينما لم يقدم هو أي تفسير لغيابه.

كما أصبحت السباحة قبل الغداء جزءاً من كيانها.. شيئاً تترقبه، وتنتظره.

لذا حين قال لها نك، في اليوم الخامس، إن لديه عملاً في المصرف في بلدة مجاورة، وسألها إذا كانت تحب أن ترافقه لتتفرج على السوق، سمعت نفسها تقبل بكل عفوية.

أوقف نك السيارة على أرض فارغة قرب الكنيسة. وسار مع پيج في الطرقات الضيقة إلى وسط البلدة. كانت ساحة السوق مكتظة بالسياح الذين اجتمعوا حول منصات البيع.

أشار نك بيده: «المصرف هناك، لن أتأخر طويلاً».

ـ وأين سألقاك؟

ـ لا تشغلي بالك.. سأجدك.

ـ في هذا الخليط من الناس؟

التوى فمه، وقال بصوت منخفض: «في أي مكان».

ولامست أصابعه خدها بخفة. لكنها أحست أن لمسته جعلت دمها يغلي، وعرفت أن ما قاله صحيح.

راقبته يبتعد، شاقاً طريقه عبر الجمع. وانتظرت إلى أن غاب عن نظرها قبل أن تتحرك، وتختلط كيفما اتفق بالناس، دون أن تفكر في وجهتها.

بدا أن السوق يبيع كل شيء. وفكرت پيج وهي تتجول دون هدف: بإمكان المرء أن يؤثث بيتاً من هنا في ساعة. وأحست بحرارة الشمس على رأسها، فتوقفت لتشتري قبعة عريضة.

ولاحظت بأسى مفاجىء غريب، زوجين شابين يسيران يداً بيد، ويبتسمان لبعضهما وهما يختاران ما يريدان شراءه.

ما أجمل التخطيط لوجبة طعام والتجول في أشعة الشمس في رضى متكاسل، وتحضير الوجبة معاً، ثم تناولها في المساء مع طلوع القمر..

ابتلعت ريقها بتوتر، واستدارت مبتعدة. لكن هذه الفكرة الملحاحة لم تفارق تفكيرها.. لو التقيا هي ونك في ظروف مختلفة، وتمتعا بعلاقة طبيعية، لطهت له دون أدنى شك وجبة طعامه وقدّمتها له.

وجدت أصابعها ترتفع إلى الخد الذي لامسه. وتوقفت بشهقة مكتومة، ثم دفنت يديها بحزم في جيبي فستانها وقالت لنفسها متجهمة: يجب ألا أدع مخيلتي تجمح بعيداً.

لم يكن اهتمامها مركزاً بالكامل على وجهة سيرها، وفجأة اصطدمت بشخص ما.. وأمسكت يدان صلبتان بكتفيها، لتثبتاها وهي تتراجع غريزياً.

رفعت نظرها لتلتقي نظرة نك المتسلية.. وقال: «قلت لك إنني سأجدك».

حررت نفسها بسرعة، وهي تقاوم برباطة جأش: «أوه.. أنا.. لم أرك».

قال بخشونة: «كما لم تسمعيني، ناديتك مرتين».

ـ كنت بعيدة أميالاً.. في حلم يقظة.

ـ هذا ما خمنته.

وصمت، وتفرست عيناه مفكراً في وجهها المحمر: «أرجو أن يكون حلماً لطيفاً».

فكرت: لا.. ليس لطيفاً أبداً.. إنه خطير. وأجبرت نفسها على الابتسام: «بل كان حلماً مطبخياً ومنزلياً، في الواقع».

ارتفع حاجباه: «هذا هو الحلم المناسب لزوجة رجل فرنسي».

ـ بالكاد تكون فرنسياً.

ـ ألا تعتقدين هذا؟

هزة كتفه السريعة كانت فرنسية كلياً: «حسن جداً.. لا تقولي هذا أبداً لجدتي، فهي لن توافقك الرأي».

وصمت قليلاً: «تعجبني القبعة. لكنني آمل أن تكون مضادة للماء لأن المطر قادم».

رفعت پيج رأسها إلى السماء التي لا غيوم فيها، مرتاحة لتغيير الموضوع إلى موضوع غير شخصي: «بالتأكيد لا».

نظر إليها مقيّماً: «للأسف أجل. فهنا النورماندي أتذكرين؟ وليس الريفييرا.. لِمَ لا نتناول الغداء ونذهب إلى الساحل قبل أن يتغير الطقس؟ على أي حال، أنت لم تري بعد شيئاً من الريف».

وصمت ثم قال: «أم تفضلين العودة إلى البيت؟».

لاقت پيج نظرته بثبات: «لا.. أرغب في رؤية الساحل. لكن بدلاً من الذهاب إلى المطعم، لِمَ لا نشتري الغداء ونأخذه معنا؟».

تمتم نك وقد لمعت عيناه بخبث: «ومقتصدة كذلك. احذري سيدة ديستراي، وإلا يمكن أن تنقلبي لتكوني الزوجة المكتملة».

احمرّ وجهها، وأشاحت بنظرها.

اشتريا الخبز، وشرائح اللحم المجفف، والنقانق المدخنة، وبعض الجبن الأصفر الطري، وكيساً من الطماطم، وأضافت پيج زجاجتين من المياه المعدنية.

سألته وهي تجلس إلى جانبه في السيارة: «هل سنذهب إلى أحد الشواطىء

الشهيرة حيث تم الإنزال الحربي».

نظر إليها بسرعة: «ليس اليوم. إنها أمكنة رائعة.. لكن يمكن أن تكون مربكة كذلك، ومأساوية. لذا فكرت أننا اليوم، وببساطة، سنسترخي ونستمتع.. ونؤجل السياحة إلى وقت آخر».

ردت بهدوء: «عظيم».

إذاً، سيكون هناك وقت آخر.. فهل يجب أن تكون مسرورة أم قلقة؟

كانت لا تزال تفكر بهذه المعضلة حين أوقف نك السيارة في ظل شجرة، وقال: «من هنا سنسير».

كان العشب قصيراً ندياً تحت أقدامهما. وأمامهما امتد البحر أزرق فاتناً.

أشار نك: «الممر من هنا.. إنه منحدر قليلاً في بعض الأماكن، لذا سأسير أمامك».

ولم يكن يمزح، كما أدركت پيج مقطوعة الأنفاس، وهي تسير في طريقها بنشاط نزولاً فوق المنحدر الصخري، فقد انزلقت في آخر خطوتين، لتحط على الرمل الناعم، فراحت تضحك بابتهاج وهي تنفض الغبار عنها.

كان المكان خليجاً صغيراً، محروساً من كل الجوانب بصخور مرتفعة. ولم يكونا وحيدين، فقد رأت أطفالاً يلعبون عند أطراف الماء.

كان نك قد أحضر معه من السيارة بساطاً فرشه في ظل صخر نائيء كبير.

جلست پيج، تنظر بحسد إلى ترقرق الماء في أمواج لطيفة: «أتمنى لو أنني جئت بثوب السباحة».

ـ من الأفضل أن تلتزمي بالبركة.

وأخذ يفرغ الطعام، مكملاً: «فالبحر لا يدفأ كثيراً هنا، وثمة تيارات خطيرة».

ـ واضح أنك تعرف المكان جيداً.

ـ أمضيت معظم عطلاتي في النورماندي حين كنت صغيراً، وكنت معتاداً على المجيء إلى هنا مع والدي.. وجدتي. كان هذا مكاننا المفضل.

أحست بإجفال، وامتنان غريب، لأنه اختار أن يأتي بها إلى هنا، وغطت

ارتباكها المؤقت بأن قالت بسرعة: «وهل كانت جدتك تنزل كل هذا الممر؟».

قال بهدوء: «كانت معتادة على أن تنزله في الأيام السوداء الماضية، حين كانت المراكب تفرغ حمولتها هنا».

أخفضت پيج كتفها: «هذا ما أفترضه.. المكان ليس هادئاً هنا كما كنت أعتقد.. ففيه أشباحه الخاصة».

ضحك نك، ومرر لها قطعة خبز وبعض شرائح اللحم: «أنت جائعة فقط».

وكان على حق، كما اكتشفت مندهشة.. بل كانت نهمة. وكانت وجبة طعام رائعة.. وكانت صحبة نك أكثر سهولة مما توقعت.

ولأول مرة، تمكنت من تناسي حذرها. قد يصبحان صديقين بطريقة ما. وحاولت أن تشعر ببعض الحماس للفكرة، لكنها فشلت.

حين أنهيا طعام النزهة، تقدمت پيج لتغسل يديها في البحر. وعند عودتها وجدت نك قد خلع قميصه وتمدد على البساط، وأغمض عينيه.

جلست بحذر على الطرف الآخر من البساط، واستلقت. لم تكن تنوي أن تنام بالطبع، فهناك أفكار كثيرة تتصارع في رأسها، ولن تستطيع أن تنام، كما أن مشاعر كثيرة لم تبحث فيها، تثور في داخلها.

وقلقت بشكل خطير من السهولة التي استجابت بها لرفقة نك، كانا يتكلمان كشخصين عاديين، ويضحكان معاً كذلك..

أدارت رأسها باحتراس، ونظرت إليه من تحت رموشها، لم يكن هناك أيّ شك في قوة جاذبيته. كل نبض، كل عصب منها كان يشعر بذلك.

أحست وكأنها، ودون أن تعي، خطت خطوة نحو المجهول، وأن لا مجال للعودة. وبدا لها كذلك، أنه لو عرض عليها نك أن يكونا صديقين.. لما اكتفت بذلك. كانت تعرف أن تفكيرها هذا مناف للعقل، ومحفوف بالمخاطر، وأنها يجب أن تقاوم بكل أسلحتها الممكنة.. لكن الشمس كانت دافئة جداً على بشرتها.. وحركة الأمواج على الشاطىء تبعث على الهدوء. واستطاعت أن

تسمع من مكان بعيد، صياح النورس وضحك الأولاد.. ثم تلاشى كل هذا.

أخيراً استيقظت على شيء يضرب كاحلها، وجلست مترنحة تنظر حولها.. مهاجمتها كما رأت كانت كرة شاطىء ضخمة ملونة.. وفتاة صغيرة تركض لاستعادتها، وقد اعتمرت قبعة شمس، وارتدت بنطلوناً قصيراً واسعاً. وقفت الصغيرة على مسافة آمنة وابتسمت لپيج ابتسامة متملقة.

ـ أتريدينها؟

ودحرجت پيج الكرة بلطف نحوها.

اتسعت الابتسامة، لتكشف عن صف من الأسنان الصغيرة اللؤلؤية. ثم رفست الفتاة الكرة مجدداً نحوها بقوة.

أوقفتها پيج وهي تضحك: «العبي مع شخص من حجمك».

وأعادتها إلى الطفلة التي التقطتها بشكل أخرق.

وجاءت الأم تبحث عن طفلتها: «سيمون.. ماذا تفعلين هنا؟ عفواً سيدي.. سيدتي».

نظرت پيج حولها بسرعة لترى نك يستند إلى مرفق واحد، ويحدق إليها، وقد رق فمه حتى أصبح خطاً مستقيماً قاسياً.

بدا كأنه غاضب، لكن لماذا؟

ابتسمت له بلهفة، واسترضاء: «هل أيقظناك؟ أنا آسفة. لكنها رائعة».

لم يرد على ابتسامتها. لكنه جلس وأخذ قميصه: «كنت مستيقظاً. أعتقد أن علينا الذهاب.. لأن الطقس سيتغير على ما يبدو».

نظرت پيج إلى حيث أشار، فرأت مجموعة غيوم سوداء تتجمع بشكل ينذر بطقس سيء.

أحست بخيبة أمل سخيفة لاختصار يومها: «أوه.. يا له من أمر محزن».

قال ساخراً: «لماذا پيج؟ ألست متلهفة للعودة إلى الملاذ؟».

وأدركت مصدومة أن الساعات الماضية لم تغير شيئاً من موقف نك منها.

رفعت ذقنها: «على العكس.. أشعر وكأن بطاقة خروجي من السجن قد انتهت مدتها».

ورأت عينيه تلمعان بغضب وهو يستدير.

لملما معاً بقايا الوجبة التي أكلاها بابتهاج. سارت بيج حافية على الممر، متجاهلة يد نك الممدودة لها. ولم يتبادلا كلمة واحدة وهما عائدان في السيارة. وحين وصلا إلى المنزل، صعدت بيج فوراً إلى غرفتها، فالتقت بهورتنيز في الممر، وهي تحمل عدداً من المفارش النظيفة.

عضت شفتها قائلة: «لن أرغب في أي عشاء الليلة هورتنيز.. فلدي صداع. وأعتقد أن هناك عاصفة قادمة».

نظرت هورتنيز إليها بتعاطف: «نعم سيدتي.. أشعر بها.. هل أحضر لك كأس زهورات؟».

ـ شكراً.. لكنني لا أحتاج إلى شيء.

بعد أن اغلقت باب الغرفة خلفها، أحست بيج أن صداعها لم يكن من نسج الخيال. لكن الطقس لم يكن سببه. أوه.. لا. فالسبب الحقيقي كان الضغط العصبي بسبب منعها لنفسها من أن تصفع نك بقوة، ثم تنفجر بالبكاء مرة أخرى.

أحست أن جو الغرفة قد برد فجأة، فأغلقت النوافذ.. وأقفلت المصاريع الخشبية. فتشت في حقيبتها عن أقراص مضادة للألم، فأخذت حبتين منها..

استحمت بماء بارد، ثم ارتدت ثوب نوم نظيف وأوت إلى الفراش.

توقعت أن يأتي نك ليدق بابها، ويطلب منها أن تحضر العشاء، لكنه لم يظهر أبداً. من الواضح أن بضع ساعات برفقتها كانت أكثر مما يستطيع تحمله. وأحست بتهديد الدموع بشكل سخيف لجفنيها.

أغمضت عينيها بإصرار. لكن وقتاً طويلاً مر قبل أن تقوم الأقراص المضادة للألم بسحرها المعتاد، وانجرفت دون راحة إلى النوم. وكان نوماً غريباً. حلمت فيه أنها تركض في المنزل، تمر في ممرات لا تعرفها، وتكتشف غرفاً لم ترها من قبل.. وكلها فارغة.. فارغة..

جلست مجفلة. من بعيد، كانت تسمع دمدمة الرعد المتصاعدة. لكنها كانت تنظر إلى الظلام.. ظلام أسود قاتم وخانق.. وللحظة بقي الحلم

يتملكها، ليتركها مرتجفة، فاقدة الحس بالزمان والمكان.. وامتدت يدها إلى الأمام، تفتش عن زر المصباح الكهربائي قرب السرير، وكأنها في غرفتها في منزلها.. لكنها لم تجد شيئاً.

أين أنا؟ تساءلت بجنون.. ماذا يحدث لي؟ وضغط الظلام عليها، ليملأ فمها، ويضغط على رئتيها مما جعلها تتنفس بصعوبة.

إنه أسوأ كابوس.. نوع من الموت.. وصرخت بصوت مرتفع مذعور ومحتج، وجاء صوتها مليئاً بالرعب.

قصف الرعد مرة أخرى.. لكنه ترافق هذه المرة مع صوت آخر أقرب. صوت باب ينفتح.. ثم شق النور الظلام وجعله يهرب، مما جعلها تشهق بارتياح.

وجاء صوت نك حاداً وقلقاً: «بيج؟ بحق الله.. ما بك؟».

أنار المصباح قرب السرير، ثم جلس قربها، ليجذب جسمها المرتجف بين ذراعيه.

أخيراً تمكنت من أن تقول: «كان المكان مظلماً. ظلام شديد.. ولم أستطع أن أجد المصباح.. وأكره أن أجد نفسي في الظلام.. دون أن أعرف أين أنا..».

قال: «حسن جداً.. هناك ضوء الآن.. وأنت آمنة».

كان رأسها يرتاح على كتفه وهو يتلمس شعرها بيد لطيفة. كانت بشرته باردة تحت لباسه الحريري، ومعطرة برائحة الصابون المنعش النقي.. ما من ظلام حيث يكون، ولا اختناق.. وتستطيع أن تتنفس إلى الأبد.

وتابع: «لا أستطيع شيئاً ضد العاصفة.. لكننا مررنا بأسوأ ما فيها، كما أعتقد».

وصب لها بعض المياه من إبريق قرب السرير: «هاك.. اشربي هذا».

وانتظر إلى أن انتهت، وامتنت حنجرتها لبرودة الماء: «هل أستطيع أن آتيك بشيء آخر؟ فنجان شاي ربما؟».

أمسكت يدها بكم روبه: «لا.. لا تتركني.. أرجوك».

والتقت عيونهما.. وساد الصمت، ثم قال بهدوء: «تعرفين أنني يجب أن أتركك.. لا أستطيع البقاء هنا».

ـ لكنني لا أريد أن أبقى لوحدي.. لقد حلمت حلماً مريعاً.. كله غرف فارغة.. ثم الظلام.

قال: «الغرف ليست فارغة.. لأنني في الغرفة الملاصقة لغرفتك.. وإن عاد الظلام، فما عليك سوى مناداتي.. والآن، حاولي أن ترتاحي».

هزت رأسها: «لا أستطيع».

أمسكت يده ووضعتها على صدرها، وأبقتها هناك: «نبضات قلبي لا تزال متسارعة».

ـ أشعر به.

على ضوء المصباح بدا وجهه متوتراً.

ـ إذن كيف يمكنك أن تتركني؟

ـ لأنني.. هذا وعد قطعته.

أخذت ترتجف فجأة.. لكن ليس خوفاً. فقد حل مكان الخوف إثارة وصلت حد الابتهاج.

رفعت يدها ولامست وجهه.. كانت أصابعها خجولة وهي تلامس بشرته، وهمست: «أنا أحلّك من وعدك..».

ـ بيج..

وبدا الاسم منتزعاً منه: «آه.. يا إلهي».

ثم قال بنعومة: «راقبتك على الشاطىء بعد الظهر، بينما كنت نائمة، وتساءلت كيف سأشعر لو ضممتك بين ذراعيّ..».

سمعت بيج نفسها تتأوه بسبب السعادة العارمة التي شعرت بها. وتراجع رأسها إلى الوراء فيما التصقت به بشوق عارم، شوق لم تعرفه من قبل ولم تعتقد بوجوده.

ولم تكن العاصفة قد انتهت، فهي لا تزال هنا في دمها، نبضاتها تردد صدى الرعد في الخارج.

كانت أنفاس نك خشنة مضطربة وهي تقترب منه. وارتجف جسمها ابتهاجاً، وراحت ترددد اسمه بصوت أجش: «نك.. أوه.. نك».

وعرفت في تلك اللحظة أن كل شيء تغير فجأة، فقد أحست به يتراجع عنها وبعنف تقريباً.. ثم يبتعد.

انفتحت عينا بيج لترى أنه أدار ظهره لها، ووقف بعيداً وقد عقد حاجبيه بتركيز غاضب.

همست بصوت مرتجف متكسر: «نك؟ هل هناك شيء خاطىء؟».

الوجه الذي رأته كان قناعاً بارداً ومتباعداً: «أستطيع القول.. كل شيء خاطىء.. تقريباً. ألا تدركين هذا؟».

ـ لست أفهم.

ـ الأمر بسيط جداً.

وبدا كأنه غريب مهذب، وهز كتفيه: «ظننت أنني أستطيع أن أفعل هذا.. لكنني لا أستطيع».

وأكمل رفضه لها، وبشكل نهائي مثير للخوف: «أنا آسف».

ـ آسف؟

لم تدرك من قبل أنه من الممكن الإحساس بمثل هذا الألم.. بمثل هذا العار.. وكأن سكيناً قد غرزت في داخلها بيد خبير. وهي التي تسببت بهذا، هي التي تسببت به لنفسها، وهو أمر لن تتمكن من نسيانه، أو التسامح بشأنه.

أريد أن أموت.. ودفنت وجهها في الوسادة، وهي تتمنى لو تستطيع الفرار أو على الأقل الاختفاء.

وبالكاد تعرفت إلى صوتها وهي تقول: «أعتقد.. أنه من الأفضل أن تذهب».

قال نك بهدوء: «أجل.. أعتقد ذلك أيضاً».

أغمضت عينيها مرة أخرى. لم تكن قادرة على رؤيته يسير مبتعداً، ولا على تحمّل ذلها هذا. حين سمعت الباب ينغلق بهدوء، أطلقت أنفاسها المكتومة بشهقة بكاء، وشدت قبضتي يديها. وبدأت أول الدموع تحرق عينيها.. إنه

www.elromancia.com

تخطىء حول حلمها.. فكل الغرف فارغة.. وقلبها هو الأكثر فراغاً.

هدفها الرئيسي كان أن تعود إلى انكلترا بشكل طبيعي، غير مصابة بأذى.

ما إن تصبح في عالمها الخاص، حتى تتمكّن من التعامل مع نك ديستراي، كما فعلت في الماضي تماماً. وما إن تمر فترة الطلاق بأمان، حتى تتمكن من إخراجه من دماغها إلى الأبد، وتبدأ بإعادة بناء حياتها.

حدقت في صورتها في المرآة للحظات.. في ضوء الشمعة المرتجف بدت كالشبح.

آخر شيء تريده في العالم هو أن تكون لوحدها مع نك مرة أخرى. لكن هذا هو حكم القدر ويجب أن تستفيد لما فيه مصلحتها. وأن تحيّد بطريقة ما هذا الوضع الحميم المفروض، وتقلل من العدائية بينهما..

أخذت نفساً عميقاً مرتجفاً، ثم عادت أدراجها إلى غرفة النوم مكرهة. كان نك لا يزال ممدداً فوق كرسيه وفنجان القهوة إلى جانبه لم يمس. ابتلعت بيج ريقها وقالت: «نك.. نك أنا آسفة لما قلته.. كان ذلك غير ضروري.. وغير لطيف.».

أدار رأسه ببطء ونظر إليها.. وقال بنبرة سخرية: «ما سبب هذا التغيير المفاجىء؟».

حاولت أن تبتسم: «الحقيقة أن هذه العاصفة تخيفني. وأنا لا أفكر بشكل سوي. كان.. لطفاً منك أن ترتب أمر هذه الغرفة، وأنا لم أشكرك بعد عليها».

رد بصوت لا رنة فيه: «.. لا تشغلي بالك.. كلانا لديه أشياء يندم عليها.. لكن لحسن الحظ، ليس لمدة طويلة».

قالت بسرعة: «أجل.. أجل.. هذه هي الطريقة المنطقية الوحيدة للنظر إلى الأمور».

فردّ: «لا أظن أن المنطق لعب دوراً كبيراً في تعاملنا مع بعضنا حتى الآن».

ونظر إليها مقيّماً. وتباطأت عيناه على البنطلون القصير الذي يبرز نحول ساقيها، واللون الفاقع لقميصها، ثم ابتسم بسرعة وسحر: «هل هذا غطاء

للأمان؟».

هزت رأسها، تعبث بالياقة الحريرية الخضراء: «سأشعر حقاً بالأمان حين أغادر الطائرة في مطار هيثرو».

قال بشيء من السخرية: «طبعاً. العودة إلى حضن العائلة».

قالت بيج مدافعة: «ما من خطأ في الولاء العائلي».

هز نك كتفيه: «قد يعتمد هذا على نوعية هذه الروابط».

ووقف: «أكره أن أعرض هذا الانسجام الحديث العهد للخطر. لكنني أعتقد أن علينا الحفاظ على الشموع، فلا نعرف كم سنحتاج إليها».

نظر إليها بوقار: «هل يمكنك تحمّل البقاء في الظلام ثانية؟ ألن يسبب لك هذا بعض المشاكل؟».

أجبرت نفسها على الضحك: «يا للسماء.. لا. هذا غباء، أمر طفولي، لا شك أنني كبرت على هذا الآن».

ـ وكيف بدأ؟

هزت بيج كتفيها، لإخفاء ترددها المؤقت، وقالت كاذبة: «لا أستطيع حقاً أن أتذكر».

ـ ولم تستشيري أحداً بشأنه.. أو تخضعي للعلاج؟

ـ لا.. على أي حال، هذا لا يحدث هذه الأيام.. عادة حين أجد نفسي في محيط غريب..

وابتسمت بإشراق: «حين أبقى في مكان مألوف، أكون بخير».

ـ وحين لا تكونين وحيدة.

هذه المرة كان ترددها واضحاً: «حسن جداً.. أجل، أعتقد هذا».

قال: «إذن لا تقلقي، لأنني هنا. وسنبقى معاً بينما يقدّم الإعصار أسوأ ما عنده».

صمت قليلاً: «أقترح أن تأخذي الفراش».

ثم تابع بخشونة: «إنه أكثر راحة من هذه الكراسي اللعينة. وقد تنامين قليلاً فيمرّ الوقت».

حاولت أن تبدو واقعية مثله: «لكن ماذا عنك؟».

إلا أن أجراس الإنذار أخذت ترن.

قال: «سأكون شهماً وأخاطر بعمودي الفقري».

ـ لكنك لن تتمكن من القراءة.

ـ لا يهم. فلدي موضوع جدي أفكر فيه.. استثمار رئيسي جديد يجب أن أفكر فيه قبل أن أعود، لا تقلقي.. لن أضجر وأشرد.

ـ لم أكن..

تابع: «ولا تكذبي، لأنك لا تجيدين الكذب».

وفكرت: أجل.. هذا صحيح ولطالما كانت هكذا.

استلقت فوق الأغطية، تراقبه وهو يطفىء كل شعلة صغيرة بدورها. حين انتهى استدارت إلى جانبها، وأغمضت عينيها وهو يعود بهدوء إلى مقعده.

لم يُظهر هدير الريح أي انخفاض، بل بدا في الواقع أقوى مما كان عليه، وتنهدت بيج في سرها. هل سيخرجان من هنا يا ترى؟

لن تنام بالطبع، هذه سخافة، لأنها قد تستيقظ وتجد نفسها في ظلمة غير مألوفة.. ولو صرخت فسيأتي نك إليها، كما فعل في آخر مرة، والمرة التي قبلها.. وهو يوم لن تسمح لنفسها بأن تفكر فيه.

* * *

٨ ـ لن تراني

رغم مرور كل هذه الأشهر كانت الذكرى لا تزال من القوة بحيث يمكنها إذابة عظامها. لقد حملتها معها كجرح يرفض أن يُشفى.. حارق فعّال يذكرها بغبائها.. ويذكرها بغلطة أقسمت ألا تكررها ثانية.

مع ذلك، ها هي مرة أخرى، لوحدها مع نك في الظلام، بينما عاصفة أخرى تعربد في الخارج. وحده الموقع تغير، إلا أن نك ليس في الجانب الآخر من الباب المقفل هذه المرة.

وبالرغم من قرارها المتشدد أن تنأى بنفسها عنه فإن حظاً عاثراً أجبرها على رفقته.. وفكرت بمرارة: كل ما استطاعت أن تفعله هو أن تدور دورة كاملة. وهذا أمر مضحك.. لكن لماذا لم تكن تضحك؟

مع ذلك، كان يمكن تجنب هذا. كان بإمكانها أن تقبل بالوظيفة التي عرضها عليها براد، فقد أوضح لها أن علاقتهما ستكون علاقة عمل. وكان يمكن أن تنتظر شهور التحضير لطلاقها في سانت انطوان في سلام نسبي.

وهذا بالطبع، لو سمح نك بهذا.

«لم أنته منك بعد» هذا ما قاله على الشاطىء.. هل كان هذا ليلة أمس؟ بدا لها أن حديثهما هذا جرى منذ عصور. لقد وعد بألا يتلاعب معها. لكن الكلمات ما زالت تطاردها. هل كان يتكلم بصفة شخصية أم مهنية؟

أياً يكن، كان عليها أن تواجهه.. أن تجعله يفسر ما قال. فإذا ما كانت ستواجه المزيد من المتاعب بعد عودتها إلى وطنها، فستحتاج لمزيد من المعلومات.

لكن الحديث الجدي مع توبي يبدو حتمياً، إذ يجب أن تقول له إن عملها في هارينغتون ليس ناجحاً، وإنها ستبحث عن عمل بديل، على الفور. إنها بحاجة لتغيير حياتها، للانسلاخ عن الماضي، والبدء من جديد. وقد تسافر إلى الخارج، لكن ليس إلى الكاريبي.

لقد أمضت إحدى صديقاتها الصحفيات سنة في أوستراليا، وربما تستطيع تدبر أمر كهذا هي أيضاً. لكن من الصعب أن تكون متأكدة من أي شيء وهي تشعر بالسقم وتحذر الإحساس. وكل ما تستطيع أن تفكر فيه حقاً هو الرجل الصامت في الظلام، على بُعد بضعة أقدام منها فقط. ذلك «اللازوج» الذي عاد بطريقة ما، إلى وعيها وحياتها.

وتحركت متململة تسعى إلى مكان بارد على الوسادة.

تكلم نك بهدوء: «هل أنت بخير؟».

وجمدت پيج، ثم اختلقت تمتمة نائمة.. وسمعها بالرغم من صوت العاصفة المولولة.

من المثير للاضطراب أن تلاحظ أن نك يشعر بوجودها مثلما تشعر هي به. وهي ليست بحاجة إلى اهتمامه.. إلى شفقته.. الآن.. أكثر مما احتاجته منذ سنة.

ولم تنم يومها أبداً لبقية الليل، بل استلقت تحت الأغطية وذراعاها مضمومتان حول جسمها المرتجف.

فجأة، بدت الظلمة التي تكرهها صديقة تقريباً. فماذا ستفعل حين ستواجه نك في ضوء النهار؟ حين سيضطران معاً لأن يتذكرا كيف رفضها؟ وعضت على طرف المفرش لمنع شهقات البكاء التي كانت تهددها. ولشدة ما كانت مرهقة، استغرقت في غفوة غير مريحة قرابة الفجر.

حين استفاقت، وجدت نك يقف إلى جانب السرير وهو يحمل صينية. ومع التقاء عيونهما، كتمت پيج اندفاعاً لتتكمش مرة أخرى تحت الأغطية.

لا.. لا أستطيع السماح له بأن يرى أن الأمر يهمني كثيراً.

قال: «طلبت من هورتنيز أن تتركك نائمة.. لأن العاصفة أزعجتك..

لكن الوقت تأخر كثيراً، لذا جئتك بالقهوة والخبز».

ـ شكراً لك. أرجوك، اترك الصينية في مكان ما.

رد نك بجفاء: «وأخرج؟».

هز رأسه: «ليس الأمر بهذه البساطة. والطعام كان مجرد حجة، على أي حال.. يجب أن نتحدث».

علقت الأنفاس في حلقها: «لقد سبق وقلنا كل شيء نحتاج أن نقوله. وأريد الآن أن أنهي هذه التمثيلية وأعود إلى موطني».

رد مقطباً: «وهل ستغادرين؟».

ـ أجل.. واليوم، كما أفضل. إذا استطعت أن ترتب لي مكاناً في طائرة أو في مركب.

وصمتت قليلاً: «خذ حريتك في اختلاق قصة ترضي هورتنيز.. وجدتك.. مرض في العائلة مثلاً».

ـ سآخذك..

ـ لا.

وخرجت الكلمة عنيفة من بين شفتيها، ورأت الصدمة على وجهه، فراحت تتكلم بهدوء أكثر: «سأكون ممتنة لو فعلت ما أطلبه منك. في الواقع، أنا مصرة».

ساد صمت طويل، ثم قال نك بهدوء: «حسن جداً..».

وخرج.. وفعل ما طلبته؛ وجد لها مقعداً في طائرة وأوعز إلى انطوان أن يأخذها بالسيارة إلى المطار.

وأمام نظرات هورتينز الثاقبة، لامس نك خد پيج بشفتيه في قبلة رسمية سريعة. ولم تصل ابتسامته إلى عينيه وهو يودعها: «إلى اللقاء.. سأراك قريباً».

همست پيج من بين أنفاسها: «لا.. لا.. لن تراني».

وذهبت إلى السيارة.

وكان هذا قراراً فولاذياً ولّدته الضرورة اليائسة، وبقيت پيج ملتزمة به طوال الأسابيع والأشهر التي تلت.. تستخدمه لتبعد ذكرى نك وتخرجها من

قلبها وفكرها. ولترتاح كما كانت تأمل وإلى الأبد، من الذكرى المؤلمة لرفضه لها، والطريقة التي استيقظت فيها متشوقة إليه ليلاً. كانت صورته وعيناه تبتسم لها، وتضطهد أيامها.

في الكثير من المرات كانت تظن أنها رأته.. يمر في الناحية الأخرى من الشارع، أو في مطعم مزدحم. وكانت تتوقف، وقلبها يتخبّط، ويداها تتعرقان بذعر مفاجيء. وتقول لنفسها إن هذا مجرد خيال يتلاعب بها.

أوه.. لقد كانت معركة طويلة ومريرة.. لكنها معركة بدأت تكسبها.. أو هكذا ظنت.

مع ذلك، وبسبب سلسلة جائرة من الصدف، اضطرت إلى معاودة العملية المتعبة من الصفر.

وضغطت پيج أصابعها على أسنانها. وفكرت.. لا أستطيع الاحتمال. أوه.. يا إلهي العزيز.. لماذا يجب أن يحدث هذا لي؟ إنه جنون، وتعرف هذا.. هذه الورطة مع نك.. كيف يمكن لها أن تحب شخصاً قابلته لبضعة أسابيع فقط؟ شخص لم تعرفه بالمعنى الحقيقي للمعرفة. وقد أظهر لها بكل وضوح أنه لا يهتم بها.

حسن جداً.. تستطيع فعل هذا. وعضت شفتها إلى أن تذوقت طعم الدم.

في يوم ما، ستتحرر. مهما طال الوقت، وعليها أن تؤمن بهذا.. يجب أن تؤمن، لأن أي شيء آخر سيكون حقاً من الجنون. بدأت تتنفس بعمق وهدوء، محاولة الاسترخاء. وبالتدريج فقدت الصور في رأسها حدتها وأصبحت ضبابية، إلى أن تلاشت أخيراً، وحملتها معها إلى عالم النوم.

حين استيقظت، أدركت شيئين معاً. الأول أن هدير الريح قد توقف.. والهدوء يسود بشكل غريب. والثاني أن هناك ثقلاً على جسمها يثبتها.

للحظة، اعتقدت أن أسس الفندق أصيبت بالضرر وأن جزءاً من السقف قد وقع عليها. ثم أدركت، وبرعب أكبر، أن الثقل دافيء ويتنفس. ودون أن تجرؤ على التنفس، أدارت رأسها ببطء وخوف.. لتثبت أسوأ مخاوفها.

كان نك مستلقياً على السرير، مستغرقاً في النوم وذراعه حولها، بحيث

كانت سجينة فعلياً.

للحظة، جمدت تماماً. وتصلب جسمها للصدمة وعدم التصديق. كيف حدث هذا؟ كيف أمكنه أن ينضم إليها في الفراش هكذا.. دون أن تعرف؟ ومتى حصل هذا؟

واقع أنهما كانا يرتديان كامل ثيابهما لم يكن مطمئناً.. أوه يا إلهي.. وتقلصت حنجرتها، يجب أن أتخلص من هذا. وتحركت بحذر شديد، وأزاحت ذراعه عنها، ثم راحت تُبعد نفسها عنه نحو طرف السرير.. لكنه تحرك، وتأوه، ثم استيقظ.

ـ تهربين مني مجدداً حبيبتي؟

ومد يده إليها ليعيدها إلى أحضانه.

حاولت پيج بغضب وشراسة أن تخلص نفسها: «ماذا تظن نفسك فاعلاً؟».

ـ كنت نائماً.. لماذا.. هل تمتلكين امتياز النوم لوحدك؟

ـ قلت إنك ستستخدم المقعد.

ـ صحيح.. لكنه لم يكن مريحاً، وخسرت الشهامة المعركة، كما أخشى. على أي حال، ما المشكلة؟ لم يبدُ أنك اعترضت على وجودي، بل نمت بين ذراعيّ كالطفلة.

قالت باقتضاب: «حسن جداً.. لقد استيقظت الآن. وأرغب في النهوض من السرير.. أرجوك».

ـ ولمَ العجلة؟

وأراح ذقنه على كتفها: «لعل اعصار «مينا» قد مرّ. لكن لا بدّ من تنظيف الطرقات والمطار قبل فتحها. ولن تبدأ رحلات الطيران الليلة بالتأكيد. لذا لمَ لا تسترخين وتتمتعين بالتسهيلات».

ـ اتركني.

وحاولت أن تتحرر مرة أخرى: «ليس لك الحق..».

قاطعها بنعومة: «احذري حلوتي.. أنت الآن في موقف خطير.. هل

تريدين أن نناقش بالضبط ما هي الحقوق التي أملكها عليك؟».

ردت: «ليس لك أي شيء.. وحسب شروط الاتفاق».

قال ببطء: «إنه اتفاق جعلك زوجتي پيج.. وربما حان الوقت لتعرفي بالضبط ماذا يعني هذا».

جف فمها: «عمّ تتكلم؟».

ـ أتكلم عن زواجنا. أعتقد أن الوقت حان لأن ننسى ذلك الاتفاق اللعين ونجعله حقيقياً.

اهتز صوتها: «قلت.. لا مزيد من التلاعب.. لقد وعدت».

ـ قلت.. في المستقبل سأكون جدياً.. حسن جداً وهذا أمر جدي بقدر ما تعنيه الجدية.

قالت بصوت أجش: «أبداً.. لن أوافق أبداً.. ولن تستطيع إجباري».

ـ لا أنوي استخدام القوة بالتأكيد، بل الإقناع. وهذا أمر مختلف تماماً.

ثم أضاف بنعومة: «ألا تظنين هذا؟ على أي حال، لقد رغبت بي يوماً».

تساءلت بجنون: ماذا يظنها؟ لعبة يلتقطها ويتركها ساعة يريد مزاجه؟ وكادت تصرخ من الألم.

وبدلاً من ذلك، ردّت بصوت بارد: «أرجوك لا تذكّرني.. كان ذلك انحرافاً عقلياً مؤقتاً، استعدت عافيتي منه منذ زمن بعيد».

أحست به يبتسم: «هل أنت واثقة كثيراً من هذا؟».

كان من المهم والضروري أن تبدو مسيطرة على نفسها. مع أنها كانت ترتجف من الداخل.

أبقت صوتها بارداً: «منذ أربع وعشرين ساعة كنت برفقة امرأة شقراء، فأعد قوة إقناعك إليها نك. لأنني لا أعتقد أنك زوج جيد».

قال ساخراً: «لماذا حبيبتي هذا الكلام؟ قد يظن من يسمعك أنك غيورة».

ـ إذن من يسمعني مخطىء.. أنا فقط لست مهتمة بما تتركه النساء الأخريات.

أحست بالتصلب المفاجىء لعضلاته، وعرفت بذعر خفيف أنها أغضبته،

وأدارها بين ذراعيه ليواجهها وبيدين قاسيتين شدها بخشونة إليه.

قال: «حاولي».

وعانقها.

كانت تنوي المقاومة لكن عناقه كان شرساً، ومخضعاً. حتى حين كانت يداها تضغطان على صدره في محاولة عقيمة لدفعه بعيداً عنها، كان جسمها يستجيب له.

حاولت قول لا. لكن الكلمة ضاعت في طوق متوحش حلو أثاره عناقه.

كان قلبها يخفق بجنون.. يدق في نغم عنيف في قفصها الصدري. بدا وكأن صوته يملأ أذنيها. وفي اللحظة ذاتها قرع أحدهم باب غرفتهما.

ابتعد عنها وهو يشتم بعنف من بين أسنانه. ونادى: «ما الأمر؟».

ـ من الإدارة سيدي.

نزل نك عن السرير وتقدم من الباب. فاغتنمت پيج الفرصة لتنهض بدورها، وتجلس في المقعد.

قال وهو يعود إلى الغرفة ويقفل الباب: «يبدو أنهم تمكنوا من تحضير وجبة طعام ساخنة وهي متوفرة في قاعة الطعام، إذا أردنا شيئاً. وأعتقد أننا بحاجة إليها؟».

سألت پيج: «أي نوع من الطعام؟ أعني هل هو غداء أم عشاء؟».

وأذهلها صوتها الطبيعي.

تقدم نك من النافذة، وفتح المصراعين، فتدفق نور رمادي مبتل إلى الغرفة.

ـ الساعة لا تتجاوز السادسة صباحاً.. لذلك أعتقد أنه الفطور.

شهقت پيج: «لكن، هذا لا يمكن.. هذا يعني أنني نمت لأكثر من اثنتي عشرة ساعة».

هز رأسه: «يبدو أنك أضعتِ الحسابات».

نظرت إلى يديها المشدودتين في حجرها: «لا زلت آمل أن أكون نائمة.. وأن كل هذا كابوس رهيب».

قال بنعومة: «أنت تستفزينني مجدداً حبيبتي. كوني ممتنة لأن جوعي يتفوق مؤقتاً على حاجاتي الأخرى».

ودس محفظته في جيب بنطلونه الخلفي: «هل ستأتين إلى الطابق الأسفل؟».

ـ لا.. شكراً لك.

وتفحصت خللاً خيالياً في أظافرها: «أنا لست جائعة حقاً».

هز كتفيه: «كما ترغبين حبيبتي. ابقي هنا، وتدربي على ألا تكترثي بي. يمكنك فعلاً أن تستفيدي من التمرين».

وأضاف ساخراً من على الباب: «ويمكنك عرض مخالبك علي حين أعود».

للحظة بدا أن ابتسامته تعزيها، ثم أغلق الباب خلفه، وبقيت پيج وحيدة.

جلست قليلاً تحدق أمامها، وتفكيرها يدور في حلقة مفرغة. لم تستطع أن تصدق كم يسهل على نك أن يوصلها إلى حافة الاستسلام، بالرغم من قرارها المتشدد. كيف استطاعت أن تسمح له بأن يعانقها.. أن يلمسها هكذا؟ وكأنها ألعوبة يتلذذ بها؟ لِمَ لم تقاوم.. لِمَ لم ترفضه بدورها؟

وبخت نفسها بحرارة: أيتها الحمقاء.. أيتها الضعيفة الحمقاء المثيرة للشفقة. ووقفت، تتحرك متصلبة. وراحت تجمع أغراضها وترميها في حقيبتها.

حين يعود.. بدت الكلمات وكأنها تضرب رأسها، وأحست بالنفس يعلق في حنجرتها وبدأت يداها بالارتجاف. حين يعود لن تكون هنا. لن تتحمل المخاطرة.

وجدت كتيب معلومات في درج الطاولة.. ووجدت عنوان القنصلية، فكتبته على ظهر خريطة صغيرة للبلدة، وجدتها هناك ودستها في حقيبتها.

كان المصعد معطلاً، بالطبع. لذا نزلت السلم، وهي تتوقع أن تواجه نك في أي لحظة. لكن الحظ حالفها، وتمكنت من الوصول إلى الطابق الأرضي بأمان. وما إن أصبحت هناك، حتى وجدت الردهة تعج بالناس، وكان من

السهل نسبياً أن تتسلل دون أن يلاحظها أحد. لكن، ومع كل خطوة، كانت تنتظر سماع صوته يناديها، ويده تربت على كتفها.

كان قلبها يخفق كالمطرقة وهي تخرج. كانت الريح لا تزال قوية جداً، لكن الجو ساخن وشديد الرطوبة ولم ترَ سيارات كثيرة في الشارع.

أخذت پيج نفساً عميقاً، ورفعت حقيبتها إلى كتفها، وبدأت تركض.

* * *

كان المطر ينهمر حين عادت إلى منزلها الريفي.. أوقفت السيارة بعيداً لتسير إلى الباب الأمامي، وكتفاها محنيتان في سترتها الرقيقة.. وفكرت أن ما مر بها كان أطول أربعة أيام في حياتها.

كان موظفو القنصلية لطفاء. لكنهم بدوا متضايقين وهم يحاولون التعامل مع مشاكل كل البريطانيين المتدافعين. حين اكتشفوا أن پيج ليست متلهفة للحصول على مقعد في أول طائرة، وجدوا لها، بكل سرور، غرفة مع فطور في فندق صغير متواضع على بُعد شارعين. واختبأت هناك، ولم تظهر إلا بعد أن أصبحت واثقة من أن نك سافر منذ مدة بعيدة.

كانت رحلة العودة إلى الوطن تمثل السأم بذاته، ونامت معظم الوقت.

في الردهة، توقفت پيج لحظة تنتظر أن يمارس منزلها سحره المعتاد ويلف ذراعين خفيتين حولها ليواسيها ويرحب بها. لكن، لا شيء من ذلك حدث. أحست بالهواء قذراً وبارداً، وكانت ممسحة الأقدام مليئة بالرسائل البريدية.. وعلى طاولة الردهة كان المجيب الآلي يومض بقوة. تنهدت پيج ووضعت حقيبة سفرها قرب السلم. وضغطت زر الآلة لتستمع إلى الرسائل، واكتشفت أنها لم تكن سارة، فمعظمها من توبي المغتاظ جداً. شيء ما يزعجه، وكانت واثقة من أنه لم يكن قلقاً عليها ببساطة.

من ناحية أخرى، لم يكن هناك أيّ اتصال من نك، كما كانت تتوقع. لذا ربما لم يقتفِ أثرها بعد إلى مخبئها الخاص.. وهذا أمر مريح. هكذا فكرت وهي تلوي فمها. أما توبي فهي قادرة على التعامل معه.

ذهبت إلى المطبخ، وملأت غلاية الماء ووضعتها على النار. ستذهب إلى

منزل أهلها هذا المساء. وكانت قد اتصلت من سانت ماري ما إن عاد الهاتف إلى العمل، لتطمئن والدها إلى أنها سالمة، وبخير.

حضرت القهوة وحملتها مع كومة بريد إلى غرفة الجلوس. وتقدمت إلى النافذة لتفتحها، فسمعت صوت سيارة تسير في الطريق الريفية بسرعة، وتتوقف قرب بوابتها.

بعد لحظة، كان توبي يسير متجهماً في الممر ويهاجم مقبض بابها النحاسي.. وبفم مشدود، تقدمت پيج لتفتح له.

فاتحة كلامه لم تكن تعد بالخير: «أين كنت بحق الجحيم؟».

ـ مرحباً يا أخي العزيز. تسرّني رؤيتك أيضاً.. هل سمعت بالإعصار «مينا»؟

ـ كان هذا منذ زمن بعيد. واحتجناك هنا، يجب أن أكلمك.

تأوهت پيج في داخلها، واحتجت: «لقد وصلت لتوي.. لِمَ لا آتي إلى العشاء الليلة ونتحدث في ما بعد؟».

هز رأسه: «يجب أن يكون الكلام الآن.. ولوحدنا.. أمامنا مشكلة كبيرة».

هزت پيج رأسها: «حقاً؟ حسن جداً، لدي مشاكلي الخاصة. لقد.. صادفت نك ديستراي وأنا مسافرة».

حدق توبي فيها: «قابلته؟ كيف بدا؟ ماذا قال؟».

هزت پيج كتفيها بمراوغة: «كان كعادته بغيضاً».

ـ حسناً، أرجو من الله ألا تكوني قد كدرته.. لأننا نحتاج إليه وهو في مزاج جيد، ويميل إلى الكرم. هناك اجتماع طارىء لمجلس الإدارة غداً.

أوه.. لا.. وتأوهت في سرها، وابتلعت ريقها، لتقول باكتئاب: «من الأفضل أن تجلس. هل تريد القهوة؟».

ـ لا أحتاج شيئاً.

سألت أخاها: «ماذا حدث؟».

ـ أتذكرين مشروع تطوير «سي غروف»؟.

ـ طبعاً.. لكنه انتهى، أليس كذلك؟ وبيعت كل المنازل.

هز رأسه: «حصل تشقق في الجدران والأرض وبدأ البعض بالانتقال منه. وبدأوا يتذمرون. في البداية لم نهتم كثيراً.. لكنهم قالوا إن الوضع سيء، وجاؤوا بمهندس خاص ليتفحص البناء».

وارتجف توبي: «تفحص المهندس الأسس وقال إنها غير ثابتة. وإن هناك رمل كثير وحصى في الأرض. وإن المشكلة ستزداد سوءاً يوماً بعد يوم، وأرسل لنا تقريراً كابوسياً من أربعين صفحة، مع تقدير تكاليف الإصلاح».

وغاص صوته إلى درجة الهمس: «مئات الآلاف من الجنيهات.. وسيضطر الجميع إلى ترك منازلهم بينما ينجز العمل.. لذا علينا دفع تعويضات أيضاً».

حدقت پيج فيه مصدومة، وشفتاها منفرجتان. وقالت بصوت حاد: «لكن هذا مستحيل.. لقد تفحصنا التربة، والمختبر لم يخذلنا من قبل».

نظر توبي إليها وتمتم: «لم نستخدم المختبر المعتاد.. ذلك الشاب كنت معه في المدرسة، كان قد بدأ العمل لتوه، وأجره أرخص بكثير».

ـ وهل استشرت زملاءك في مجلس الإدارة؟

ـ لم أعتقد أن هذا ضروري.. لقد عرض علي صفقة جيدة حقاً. وأنا.. أنا لم أرَ أن في الأمر خطأ.

أغمضت پيج عينيها لحظة، وعدت ببطء إلى العشرة، ثم قالت، حين وثقت بصوتها: «إذن، سنقيم عليه الدعوى».

هز توبي رأسه ببؤس: «لقد وضع تحت الحراسة القضائية.. إنه مدين لضريبة الدخل وللمصارف، لذا سنكون آخر المساكين المطالبين هذا إن كان يملك شيئاً».

نظر إلى پيج ببؤس: «كل العبء سيستقر على هارينغتون هولدينغ. وسنضطر إلى الدفع. والسكان يهددون باللجوء إلى الصحافة، إضافة إلى المحكمة».

أخذت پيج نفساً عميقاً: «وهل تعلم ميتلاند ديستراي بالأمر؟».

ـ لم يعرفوا في البداية. ظننت أنني أستطيع تدبير أمر ما. لكن ذلك المحاسب الذي وضعه نك ليراقبنا، عرف بالتقرير، وأرسل نسخة عنه بالفاكس إليه.. لهذا، دعا إلى هذا الاجتماع منذ ثلاثة أيام.. حين عاد من عطلته.

قالت بهدوء: «أجل.. بالطبع سيفعل هذا».

وفكرت أنه لا داعي للقلق على أي حال.. فلدى نك أمور أكثر أهمية يلاحقها من زوجة ضالة.

ـ حين رأيته.. هل ذكر كل هذا؟

قالت پيج: «أعتقد هذا. لكن بشكل غير مباشر، ولم أعرف حقاً ما كان يعنيه».

ـ هل لَمح إلى ما يمكن أن يفعل؟ وما إذا كان مستعداً لدعمنا مجدداً؟

وكان في صوت توبي يأس حقيقي: «أقول لك يا أختاه.. إذا استقال من مجلس الإدارة وسحبت ميتلاند ديستراي البساط من تحتنا، فسينتهي أمرنا».

ـ وهل تظن هذا ممكناً؟ لا بد أنه يفضل أن يعوض استثماره إذا استطاع.

هز توبي رأسه: «لم أعد أعرف شيئاً.. هناك شائعات كثيرة.. منها أنه سوف يأتي بفريقه الخاص لإدارة الشركة.. فماذا سنفعل لو حدث هذا؟».

هزت پيج كتفيها: «سنعض على الجرح، ونعمل معهم. كما أعتقد».

ـ لكن هذا ليس الخيار الأنسب.

وبدا كأنه سيبكي: «من سيعرض علي عملاً بعد أن يضعني نك ديستراي على اللائحة السوداء؟».

ترددت: «توبي.. أنا لا أعرف خططه».

واجهها توبي بعدوانية مفاجئة: «لا بد أنك تعرفين شيئاً.. أنت زوجته بحق الله».

رفعت پيج ذقنها: «لا.. وما كنت يوماً زوجته. كان زواجاً على الورق فقط، وأنت تعرف هذا جيداً».

أحنى توبي كتفاً مشاكسة: «لكن دنيس ذكية جداً في أمور كهذه. وهي

تقول دائماً إنكما كنتما تتشوقان لبعضكما منذ أول يوم».

التوت شفة پيج قرفاً: «لزوجتك طريقة غريبة في فهم الأمور. كما كان خداعها جزءاً من الاتفاق إذا كنت تذكر».

قال توبي متلهفاً: «حسن جداً.. حاولي خداع زوجك، تستطيعين مخادعته إذا أردت. فقد تعرفين منه ماذا يخطط، إنه رجل، على أي حال، لذا ابدئي بالتصرف كامرأة ولو لمرة في حياتك».

ووقفت پيج قائلة: «فلتتظاهر أنك لم تقل هذا. وأعتقد أنه من الأفضل أن تذهب».

تأوه توبي: «أنا آسف أختاه.. أنا فقط أكاد أفقد صوابي وأتمسك بقشة».

هز رأسه بانهزام وهي ترافقه إلى الردهة.. وأكمل: «لا تعرفين ما مررت به».

وراقبت توبي وهو يعود إلى سيارته واليأس باد عليه بوضوح.

استلقت إلى الخلف في مقعدها، وأغمضت عينيها، وأرخت جسمها بتعب على الوسائد وهي تراجع ما قاله نك بالنسبة لعمل الشركة في الوقت الذي أمضته معه.

كان يجب أن أصغي بدقة أكبر، وأن أطرح المزيد من الأسئلة. لكن، كان هناك أمور أخرى تشغل تفكيري. وبدا لها واضحاً أن نك توقع أن تكون على علم بفشل مشروع «سي غروف». ونبّهها حدسها إلى أن هذا ليس كل شيء، وأن هناك أمور أخرى ستظهر لاحقاً.

وتنهدت.. حسن جداً.. في الغد سيتّضح كل شيء بشكل قاسٍ. وستضطر للوقوف مع عائلتها لمقاومة نك في معركة قد لا يكسبونها.

فكرت أنها كانت ذكية جداً حين تركته في الفندق. لكن نك على الأرجح توقع هذا منها حتى أنه سمح له بأن يحدث، لأنه كان يعرف أن ما من مكان تهرب إليه، وأن عليها أن تواجهه.. معركة الغد ستكون بينهما.. وشروطه ستطرح على الطاولة. وسرت رعشة صغيرة غير مريحة في أوصالها.

جلست فجأة. الجلوس هنا باكتئاب لا جدوى منه.. ستفرغ حقيبتها،

وتسترخي في مغطس ساخن لفترة، قبل أن تحضر لنفسها العشاء. كما أن النوم باكراً يبدو أمراً متعقلاً. على كل حال، إنها تحتاج إلى الراحة لكي تكون قوية خلال الاجتماع، وخلال المعركة.

حين عادت إلى الردهة لتأتي بحقيبتها، سمعت صوت مقبض الباب الأمامي.

وتأوهت پيج.. توبي مجدداً، لديه المزيد من الأخبار السيئة أو سيمارس عليها قوة إقناعه.. وكلاهما غير مقبول.

سارت دون ابتسام إلى الباب، وفتحته إلى أقصى اتساعه، وهي تراجع الكلمات التي ستصرف بها توبي، وتوقفت.. واتسعت عيناها من الصدمة.

قال نك بصوت منخفض ناعم: «إذن، لقد وصلت سالمة. والآن، ربما نستطيع أن نجري ذلك الحديث الذي تأخر كثيراً.. نحن الاثنان فقط».

***

٩ ـ عالقان في الكهرمان

قالت بصوت أجش: «ماذا تفعل هنا؟ كيف وجدتني؟».

ارتفع حاجباه: «بالكاد يكون هذا سراً. فمكان وجودك موثق في ملفات المكتب».

اشتدت قبضتها على حافة الباب: «لكنك لم تأت إلى هنا من قبل».

وكانت ابتسامته الخفيفة ساخرة: «ربما كنت أشك في مدى الترحيب بي».

وكان على شعره وكتفيه قطرات مطر: «هل لي أن أدخل؟».

ترددت قليلاً، ثم تحركت جانباً لتسمح له بدخول الردهة وقالت بتوتر: «أرجوك.. قل ما تريد، واذهب».

التفت إليها نك مؤنباً: «أنا واثق من أن عائلتك تفضل أن تكوني أكثر لطفاً معي حبيبتي. هل هذه غرفة الجلوس؟».

وتجاوزها ليقف لحظة، ويتطلع إلى الجدران البيضاء والسقف الخشبي المنخفض، والأرضية التي تشبه لون عشب البحر، والأريكتين المنجدتين بلون أزرق قاتم واللتين تواجهان بعضهما على طرفي مدفأة حجرية.

قال بصوت خالٍ من التعبير: «فاتن جداً».

قالت پيج بصوت متحجر: «أرجوك، لا تتكبر علي.. أنا أعرف أن المنزل كله لا يتناسب مع زاوية من منزلك في لندن».

ـ أنت لم تزوري أبداً منزلي في لندن.

لعنت پيج نفسها في سرها: «لقد رأيت صوراً له».

ـ حسن جداً. ربما ستعرفينه أكثر في المستقبل القريب.. ألن تطلبي مني

www.elromancia.com

الجلوس؟

ـ إذا كنت مضطرة.

قال بلطف: «دعينا نوضح أمراً يا حبيبة قلبي. لن تبعديني بتصرفك كقطة صغيرة متوترة. والآن، اطلبي مني بلطف».

عضت شفتها: «أرجوك.. اجلس».

قال بأدب: «شكراً لك».

توجه نك إلى الأريكة البعيدة. كان يرتدي بذلة قاتمة وقميصاً أزرق وربطة عنق أنيقة. بدا هادئاً ومسيطراً على نفسه، بينما أحست پيج بضعف جسدي وفكري، ووقفت تراقبه بوجه متوتر، تنتظر ما هو آت.

نظر إلى الطاولة المنخفضة المصنوعة من خشب الورد والتي تشغل المساحة بين الأريكتين، ورفع حاجبيه.

ـ أكنت تشربين شيئاً سيدة ديستراي؟

ـ لم أكن أعرف أنني سأحتاج إلى ما أشربه.

تنهد: «پيج.. هناك كأسان، وأراهن على أن واحدة منهما هي لشقيقك. وأتصور أنه أعلمك بكل ما حدث وأنت في الكاريبي. لذا فأنت تعرفين أن كل الأخبار سيئة».

قالت پيج ببرود: «أجل.. لقد ظن أن معرفتي بمشكلة سي غروف لازمة. فالصحافة ستتعاطى معها، ولسوف أكتب تصريحاً في اجتماع الغد».

قال: «فكرة لطيفة. لكن مسؤول العلاقات العامة كرادوك پيترز سيتعامل مع الإعلام بلسان هارينغتون من الآن وصاعداً. وبإمكانك تقديم كتاب استقالتك إلى الاجتماع».

شهقت: «أنت.. تطردني؟ لكنك لا تستطيع. لن يوافق بقية أعضاء مجلس الإدارة. لقد أقنعني والدي بقبول الوظيفة في الأصل».

وبدت الخشونة في رد نك: «كان ترتيباً صغيراً دافئاً. لكنه انتهى، وأنصحك ألا تثيري ضجة أو تقاضي الشركة لصرف تعسفي من العمل.. دعينا لا ننشر المزيد من غسيل هارينغتون المتسخ أمام الناس».

ـ غسيل متسخ؟ هل أنت مجنون؟

وهزت پيج رأسها: «هل هذا نوع من العقاب لأنني كنت في إجازة حين تفجرت مسألة سي غروف؟ هذه أول عطلة لي منذ سنتين».

قال بلطف: «يبدو أنك نسيت الأيام القليلة التي أمضيناها في النورماندي».

ـ لم أنس شيئاً.

ـ أنا لا أهتم حقاً كم عطلة أخذت في العام، طالما تدفعين كلفتها من مرتبك الكبير، ولا تسجلينها على حساب الشركة، كما تسجلين الرهن العقاري على هذا المسكن الصغير، كما هو حاصل، وعلى أثاث بيتك وفواتير الديكور.

لو رفع يده وضربها ليرميها على الأرض، لما صدمت أكثر، ولا ذهلت، ولا استشاطت غضباً. اشتدت قبضتاها إلى جانبيها مع بدء كلمات الإنكار الغاضبة بالتشكل في رأسها. إنها تكسب ثلثي مرتبها السابق في هارينغتون، ويأكل الرهن قطعة كبيرة منه.. وكانت قد دهنت المنزل الريفي بنفسها خلال نهايات الأسابيع. واشترت القطع الرئيسية من الأثاث من مدخراتها.. ولو أن والدها أعطاها بعض قطع الأثاث من منزله.

ولولا كرم آنجي، لما ذهبت إلى أي مكان يقرب من الكاريبي. وهذا ما ستقوله له وبأعلى صوتها دون حذف كلمة، ما عدا..

فجأة أخذ الغضب الفوار الحارق الحاد، يتخلى عن مكانه للقلق.. والخوف، حتى أن صوتاً داخل رأسها كان ينذرها بأن تبطىء من اندفاعها وتتقدم بحذر، لأن هناك خطأ فظيعاً هنا.

وتحركت متصلبة إلى الجانب الآخر من الأريكة، وجلست لتقول: «كيف اكتشفت كل هذا؟».

ـ الفضل يعود إلى محاسبي، ولا أظنه استمتع بأن يقول لي إن زوجتي تستخدم الشركة كمصرف خاص بها. لكنه فعل هذا على أي حال، ولسوف يترأس فريقاً للتحقيق في تناقضات أكثر خطورة.

- أي نوع من.. التناقضات؟

- أتعنين أنك لا تعرفين؟ اسم هارينغتون بالنسبة للنوعية والكمال تعرّض للشك مؤخراً. لقد دفع الناس ثمن مطابخ وحمامات من أفضل النوعيات وحصلوا على تقليد رخيص بدلاً من ذلك. في أحد المواقع، تغيرت مواصفات التدفئة المركزية مما أدى إلى دخول البخار إلى المنازل. ووصلت السرقة إلى الحصص المالية في مجلس الإدارة.. هل أنا بحاجة لأن أتابع؟

أبقت صوتها ثابتاً، بينما راح رأسها يعمل بشكل محموم: «وتعتبرني مسؤولة عن كل هذا؟».

قال ساخراً: «لا تكوني سخيفة.. هذا كله جزء من تصرف عام يقضي بأن الغش لا بأس به، وأن الشركة والزبائن موجودون فقط لنهبهم، إضافة إلى ميتلاند ديستراي».

وهز رأسه: «لا يمكن لهذا أن يستمر پيج.. لن أسمح به. وستكونين أنت أول ضحية».

كل هذا المال يصرف باسمها، لكن ليس بيدها.. فمن هو الفاعل؟

صورة مقززة لتوبي مثيراً للشفقة، مذعوراً، تراءت لها.. توبي.. الذي ينقصه المال دائماً لتمويل آخر صرعات دنيس.

أوه.. لا. لا. وابتلعت دواراً مغثياً.. يا إلهي العزيز.. لا.

كان نك يراقبها بعينين ضيقتين، وقال: «ما الأمر پيج. هل ظننت أن أمرك لن يُكشف؟».

قالت بهدوء: «لا أعرف حقاً ما أظن».

وأخذت نفساً عميقاً، ثم أجبرت نفسها على أن تلتقي نظراته: «سأبدأ التفتيش عن وظيفة جديدة غداً. فما زال عندي بعض المعارف».

وصمتت: «وإذا وعدت بألا تدفع بالتحقيقات أكثر من هذا، فسأدفع لك كل قرش من مرتبي المستقبلي».

قال بصوت ناعم: «أجل.. إنه وقت دفع المستحقات، فعلاً. لكن، لا داعي لأن تفتشي عن وظيفة، لأن لديك مركزاً ينتظرك كزوجة لي، والتنفيذ

فوراً. وهذه المرة لن يكون هناك عذر، أو مراوغة، أو هرب».

كانت تتوقع هذا.. وتخشاه. وها هو الآن يواجهها.

نظرت إليه متوسلة، واليأس في صوتها: «أرجوك.. لا يمكنك أن تفعل هذا.. إنه.. أمر قذر. من القرون الوسطى. عاقبني بطريقة أخرى.. لكن ليس هكذا».

قال متشدقاً: «بالكاد ترضين غروري حبيبتي، لكن الأمر لن يكون سيئاً إلى هذا الحدّ. لن أستطيع السماح لك بصرف مالي دون حدود، بالطبع، لكنك ستحصلين على مصروف وسترسل كل فواتيرك إلي».

وتوقف، وضاقت العينان السوداوان: «أنا مستعد لأن أكون كريماً پيج. لكنني أتوقع ما يوازي مالي، ولن تخذليني».

أجفل جسمها كله. وفكرت فيه وهو يمارس عقابه الخاص الأسود على أفعالها المفترضة. وبطريقة ما، عليها أن تتحمل. فمن الأفضل أن يلومها نك من أن يكتشف الحقيقة.

توبي أحمق وضعيف. وما فعله كان عملاً إجرامياً على الأرجح. لكنها لم تكن قادرة على تحمل رؤيته يتعرض للعار علناً، كما لا بد أن يحصل.. ليس من أجله.. بل من أجل والدها. فالصدمة قد تتسبب له بنوبة قلبية أخرى..

من ناحية أخرى لا تستطيع أن تتقبل برضى عقاب نك.

قالت بصوت أجش: «نك.. سندمر بعضنا هكذا، وتعرف هذا. إذا تركتني أذهب، فسأعمل لأعيد لك مالك، أقسم على هذا. ويمكن أن نتحرر، كلانا، وأن نجد السعادة.. بطريقة لائقة. على أي حال لديك شقراؤك».

- أجل، ميشلين الفاتنة. لقد أزعجتك حقاً.. أليس كذلك حبيبتي؟ أتساءل لماذا؟

قالت بحدة: «كنت متعلقاً بها».

وصمتت، تلعن نفسها من بين أنفاسها.

- وكيف تصنفين مرحك مع براد كولتر؟.

وجاء دورها لتسخر: «ولماذا نك؟ لا تقل لي إنك تغار؟».

هز كتفيه والتوى فمه: «مستحيل.. على أيّ حال تركتك تجولين بحرية، ولا أستطيع التذمر لو استخدمت حريتك لتتركي ذكراً يسحرك. لكن حتى وإن تطلقنا فلن يكون هناك ضمانة بأن يتزوجك كولتر».

رفعت بيج ذقنها: «واضح أن لكليكما أشياء كثيرة مشتركة».

قال نك بخفة: «إذن، ستتمكنين من المقارنة.. أليس كذلك حبيبتي؟».

أحنت رأسها، وقالت بصراحة: «هل انتهى هذا النقاش الآن؟ لأنني أرغب في أن أكون لوحدي، لدي أشياء كثيرة أفكر فيها».

ـ إذن أنا آسف لأني ساخيّب أملك.. لن أغادر، وزواجنا سيبدأ الآن، وهنا.. الليلة.

نظرت إليه متوسلة: «لكن هذا مستحيل.. أنا.. أحتاج إلى وقت».

ـ أنا أيضاً لديّ احتياجات، وأساسية أكثر. كما إنها ملحة.

ووقف: «أين مفاتيحك؟».

ـ لماذا تريدها؟

ـ هناك أشياء أريد جلبها من السيارة. وأكره أن أجد الباب مقفلاً في وجهي حين أعود، فأضطر إلى استدعاء أحد النجارين في شركة هارينغتون لخلع الباب.. وأنا واثق من أنك لا تريدين هذا.

ابتلعت ريقها: «لا.. المفاتيح.. على طاولة الردهة».

ـ حكيمة جداً. لن أتأخر طويلاً.

وجلست متكدرة في زاوية الأريكة، تحدق في الفراغ دون أن ترى.. كيف يمكن لهذا أن يحدث؟ كيف يمكن أن تسلم نفسها لمطالب هذا المتعجرف الساخر؟ كيف تعطي نفسها لرجل لا يحبها ولا يحترمها؟ رجل يعتقد حقاً أنها مختلسة حقيرة.. مستغلة من أسوأ الأنواع؟

كان توبي قد طلب منها استخدام نفوذها، كما تذكرت بألم، ورفضت، مطمئنة إلى مركزها الأخلاقي. أما الآن، فالأرض تهتز تحتها، وكل ما كانت تؤمن به، قد تلاشى. إن الجرم الذي تلام عليه، بسيط نسبي، بالمقارنة مع الأشياء الأخرى التي ذكرها نك.. تلك التي لا يزال يحقق فيها. فالغريزة

حذرتها أن توبي على الأرجح متورط حتى عنقه. وأنها في المرة القادمة قد لا تتمكن من إنقاذه. لكن عليها أن تجرب، مهما كانت الكلفة.

سمعت نك يعود، وقوّمت كتفيها غريزياً.

وقف بالباب، وحقيبة ملابسه في يده: «هل سأحصل على جولة في المنزل؟ أم أجد طريقي بنفسي؟».

ثبتت صوتها: «إنه الباب الأول إلى اليمين عند أعلى السلم، والحمام قبالته. وستجد مناشف إضافية في الخزانة».

هز رأسه دون انزعاج: «هناك سلة طعام في المطبخ، قد ترغبين في إفراغها».

رددت غير مصدقة: «طعام؟».

ـ بالطبع. هذا يأتي في الدرجة الثانية في الزواج حبيبتي، الوجبات المنتظمة.

ابتسم لها ساخراً: «أتريدين معرفة ما يأتي في الدرجة الأولى؟».

ردت باختصار: «أستطيع أن أخمن.. وسأحضّر لك شيئاً تأكله، إذا كان هذا ما تريد».

قال: «سيكفي هذا، كبداية».

وبعد لحظة سمعته يصعد السلم.

كانت سلة ضخمة، وجدت فيها بيج بطة مشوية باردة، سلطة متنوعة، خبزاً، جبناً، وقالب حلوى محشواً بالفاكهة، وزجاجات مياه معدنية. وفي وعاء منفصل وجدت لحماً مدخناً ونصف دزينة بيض.

وضعت الطعام في أطباق. وصدمت عندما وجدت لعابها يسيل. كانت تخطط لتحضير مكان لشخص واحد على المائدة في غرفة طعامها الصغيرة. لكن رائحة البطة كانت شهية جداً وقد راقت لها.

استخدمت مفرش المائدة المطرز المفضل لديها مع أفضل الفضيات والكريستال وشموع طويلة في شمعدانات خشبية أنيقة. ووضعت البطة في طبق كبير منقوش، والمياه المعدنية في البراد.

كانت لا تزال في المطبخ تحضر مرق التوابل حين سمعت نك ينزل السلم.

وكانت في وقت سابق قد سمعت الماء يجري، وعرفت أنه يستحم.

ورأت من خلال نظرة جانبية سريعة، كانت كل ما سمحت به لنفسها، أنه يرتدي بنطلوناً رياضياً عاجي اللون وقميصاً أسود اللون.

استند إلى الباب: «يبدو كل شيء رائعاً».

كيف يمكنه أن يبدو مرتاحاً هكذا في حين أنها مشدودة كالوتر؟ تساءلت بيج يائسة، وهي تشعر بتيار جاذبيته يلتف حولها كموجة طاغية.. وأكمل: «أتحاولين التأثير عليّ بمهارات ضيافتك حبيبتي؟».

هزت كتفيها، وردت ببرود: «أنا أتمتع باستضافة الناس.. ولو أنني أفضل اختيار ضيوفي بنفسي».

ـ وتتأكدين من أنهم عابرو سبيل؟

وانتظر هزة رأسها المترددة، ليقول وقد التوى فمه: «لكنني هنا لأبقى بيج. وكلما أسرعت في تعويد نفسك على هذا، كلما كان أفضل».

وصمت: «هل تفهمين؟».

ـ أجل.. أجل، أفهم.

وركزت اهتمامها على كمية الخل الذي كانت تضيفه إلى زيت الزيتون الأخضر المعطر في محاولة لإخماد إحساسها القوي به.

لا شك أنه رأى غرفة نومها، وعلق ثيابه في خزانتها، وأوسع مكاناً لأشيائه الخاصة. ولا شك في أنها ستسمع الآن تعليقات لأنها تنام وحيدة في سرير مزدوج. لكن، بدلاً من ذلك، قال بهدوء: «هل أساعدك؟».

هل يحاول المزيد من التملق؟ أم أن هذا تحذير لحذرها؟

قالت، كطفلة مهذبة: «شكراً لك.. لا».

بقي حيث هو، يراقبها: «تبدو الليلة رطبة قليلاً، وباردة. هل تحبين أن أشعل النار في غرفة الجلوس؟».

وكان هذا ما تنوي فعله.. وسمعت نفسها تقول بحدة: «أرجوك.. تصرف وكأنك في بيتك».

ابتسم لها: «شكراً لك، لدي النية بأن أفعل هذا».

واختفى، ثم سمعت صوت التلفزيون.

وجوده هنا، في المنزل الريفي يغزو مساحتها الخاصة، جعل الوضع السيء برمته، أكثر سوءاً. فكرت بيج بهذا وهي تخلط أوراق السلطة الخضراء مع التوابل، وحملت القصعة إلى غرفة الطعام. واستجاب نك على الفور لإعلانها المتصلب أن وجبة الطعام جاهزة.

قال وهو يقطع البطة: «أردت أن يكون لنا نزهة ثانية، لكن الطقس عاصف».

وابتسم بسرعة لها: «أتذكرين يومنا على الشاطىء؟».

أنكرت مدافعة: «ليس حقاً».

رمقها بنظرة مؤنباً: «يجب ألا تكذبي حبيبتي. فلون عينيك يتغير عندها.. تصبحان أكثر سواداً».

خنقت شهقة صغيرة: «هذا غير صحيح!».

ـ وكيف تعرفين؟

وأعطاها طبق طعام: «انظري إلى المرآة في المرة القادمة حين تنكرين الأحداث، وسترين ما أعني».

نظرت بيج إليه بتمرد. وصب نك لها كأس مياه معدنية: «ربما يجب أن نشرب نخباً، هل يمكن أن تقترحي شيئاً ملائماً؟».

هزت كتفيها، وقالت ببرود: «للابتهاج؟».

ـ لا أعتقد هذا.

ورفع كأسه، وفعلت مثله مكرهة.

ـ نخب الحياة.. وعدم الخوف من الظلام.

أحست بوجهها يحمرّ. فأخذت رشفة من المياه المعدنية الباردة وهي تتمتم بشيء غير مفهوم، وفكرت: لماذا يجب أن يذكرها بتلك اللحظات المأساوية؟

كانت وجبة صامتة بشكل عام. وفتشت بيج يائسة، لكن دون جدوى عن موضوع مستساغ للحديث. وبدا نك مشغولاً بأفكاره الخاصة.. ربما هذا ما يفعله الزوجان.. وقدمت الحلوى.

حين أنهيا الطعام، ساعدها نك في تنظيف الطاولة، وسأل: «أليس هناك آلة غسل صحون؟».

وارتفع حاجباه تساؤلاً فرمقته بنظرة تحدٍ: «فكرت فيها.. لكن قررت ألا أغامر».

نظر إليها نظرة متأملة: «هل أستطيع المساعدة في وضع الأشياء مكانها؟».

ـ لا شكراً.. هذا المطبخ ليس في الواقع كبيراً بما يكفي لاثنين.

ولا هذا المنزل، صاح صوت في داخلها بجنون، ولا حتى هذا الكون.

نظر إليها لحظة طويلة أخرى، ثم استدار مبتعداً دون المزيد من التعليق.

وتركت پيج الصحون لتجف، ثم بدأت بتحضير القهوة.

كان نك متمدداً على إحدى الأرائك يشاهد التلفزيون حين دخلت وهي تحمل الصينية ووضعتها على طاولة خشب الورد. لكن بينما كانت تتحرك لتجلس قبالته مد لها يداً يصعب تجنبها.

وقال بصوت هادىء: «لا.. تعالي إلى هنا».

ابتلعت ريقها بتوتر، ثم أطاعت، فجلست إلى جانبه. وضع ذراعاً حول كتفيها يشدها نحوه. وقال بنعومة: «استرخي.. لا تكوني متصلبة هكذا فتنكسري».

همست: «لا أستطيع التعامل مع هذا، ولا أعرف ماذا أفعل».

ـ ستجلسين معي وتشاهدين فيلماً وثائقياً.. هذا ليس صعباً.

قالت: «أنا لم أعنِ هذا».

ـ لا.. لكنه يكفي الآن.

تحركت يده على كتفها وذراعها، يلمسها بلطف ورتابة وكأنها حيوان متوتر عليه أن يهدئه. وبشكل غريب، كان هذا مهدئاً. تباطأت دقات قلبها، وتلاشت تلك القبضة الحديدية التي تقبض على خناقها.

كان المطر يصفع النوافذ. لكن الغرفة في الداخل كانت ذهبية بلون النار المشتعلة، وفكرت پيج حالمة: كأننا عالقان في الكهرمان.

حتى حين تحركت لتصب القهوة بدا لها من الطبيعي أن تعود إلى حضنه

لتستقر قرب جسده الرشيق وكأنها تنتمي إلى هناك. وفكرت: «لست أفهم».

وأدركت حين أحست به يبتسم على شعرها أنها أعلنت عن أفكارها بصوت مرتفع.

قال بنعومة وهو يأخذ منها فنجان القهوة ويعيده إلى الطاولة: «هذه خطة أفضل بكثير».

وابتسم لعينيها المجفلتين: «ألا توافقين معي؟».

كانت قد قالت له إنها تحتاج إلى المزيد من الوقت. لكن ما تحتاجه فعلاً هو الإحساس بقربه. أدركت هذا وهو يمسك وجهها بيده، ليرفعه نحوه يتأملها.

لمسته دافئة ولطيفة بشكل مغرٍ. وتنهد جسمها كله بالسعادة. وأحست بأنفاسها تتسارع، والنجوم تتراقص خلف جفنيها المغمضين المتثاقلين. تحركت نحوه، تقترب أكثر، وتعلقا ببعضهما.

لامس وجهها بأصابع خفيفة.. ثم وقف ليجذبها معه.

وقال بنعومة: «حان وقت ذهابك إلى الفراش سيدة ديستراي».

ورافقته، يداً بيد، صعوداً على السلم إلى الظلمة الودية الصديقة.. وتوقف عند الباب.

وتردد: «هناك ما يجب أن أقوله لك. لقد قررت أن أنام الليلة في الغرفة الإضافية».

بحثت عيناها في وجهه غير مصدقة، وخيبة الأمل تتلوى داخلها وكأنها مخالب: «لكن لماذا؟».

وعضت شفتها، تجبر الكلمات المترددة أن تخرج: «ألا.. ألا أجذبك؟».

رد بخشونة مفاجئة: «بلى. لكن هذه ليست المشكلة، فقد أدركت أن هذا ليس الوقت المثالي لنا».

وهز رأسه: «هناك أسئلة كثيرة لا ردود لها معلقة فوق رأسينا. إضافة إلى هذا، أنت على حق. أنت بحاجة إلى وقت. وقت لتعتادي على فكرة وجودي. وأنا.. أنا لست واثقاً من أنني قادر الليلة على أن أكون صبوراً معك كما تستحقين».

أخذ نفساً عميقاً: «صدقيني، هكذا أفضل».

وطبع قبلة قصيرة سريعة على شعرها: «والآن، استحمي، واستريحي. فغداً سيكون يوماً صعباً».

دخلت غرفة نومها ببطء وأغلقت الباب. على ضوء المصباح، بدا السرير الكبير، بوسادته الوحيدة المرتبة في الوسط وكأنه يسخر منها. لكن شيئاً آخر على السرير لفتها، علبة مربعة مربوطة بشرائط زرقاء وفضية، ملقاة على الأغطية.

جلست على حافة السرير وجذبت العلبة إليها، ورفعت الغطاء، وأبعدت الطيات الورقية. وجدت غلالة نوم من الحرير الأبيض وبطاقة تقول ببساطة «من نك».

إنها جميلة.. ولها. جلست تمسك بها، إلى أن سمعت نك يخرج من الحمام، ويسير في الممر إلى الغرفة الثانية ويغلق الباب، ثم وقفت، وقد اتخذت قرارها.

أحاطت شموع معطرة بالمغطس، وكان نك قد أشعلها، وكان الماء معطراً أيضاً. أدارت رأسها قليلاً ونظرت إلى قميص النوم المفروش فوق الكرسي وأحست بدغدغة الترقب..

جففت نفسها، ووضعت كريماً من العطر المفضل لديها على بشرتها، ومشطت شعرها إلى أن أخذ يلمع. ثم ارتدت القميص.

تفرست في نفسها لحظة في المرآة الطويلة. لم يكن القميص مثيراً، ولم يكن فاضحاً، لكنه جميل.. ومناسب.. مناسب جداً.

كل ما تحتاجه الآن هو الشجاعة.. وقليل من الحظ.

تسلل شعاع فضي من تحت باب غرفة نك، فأدارت المقبض ودخلت. كان مستلقياً وهو مستند إلى مرفقه يقرأ. وقد بدت بشرته سمراء قاتمة على المفارش البيضاء، وأحست بموجة شوق إليه..

ارتفع رأسه بحدة، ونظر إليها مقطباً قليلاً: «ما الأمر پيج؟».

ـ جئت أريك هديتك.

ودارت ببطء: «ولأشكرك. إنه أجمل قميص نوم امتلكته، وأجمل هدية تلقيتها كذلك».

ـ أنا مسرور لأنه أعجبك.

وبدا بارداً جداً ومسيطراً على نفسه حين أضاف: «فكرت..».

وصمت فجأة، وارتفع الأمل في نفسها: «بماذا فكرت؟».

قال ببطء: «أعتقد.. أن لكل فتاة الحق في أن تبدو كالعروس.. ليلة زفافها».

ـ وهل هذه ليلة زفافي نك؟ إذن لماذا يجب أن أبقى وحيدة؟

ـ لقد شرحت لك كل هذا.

ـ أعرف. لكن لست مضطرة لتقبل شرحك.

وتقدمت خطوة إلى السرير: «أترى.. أريدك قربي. ولست واثقة من أنني سأكون صبورة..».

تأوه: «پيج.. لا تفعلي هذا بي.. أنا أحاول ضبط نفسي منذ أول يوم رأيتك فيه.. دعيني أحاول فعل الشيء المناسب ولو لمرة واحدة».

قالت: «هناك شيء واحد مناسب. وهو أن نكون معاً».

كانت تعرف بالضبط كيف تبدو. كان شعرها كغمامة لامعة، وعيناها مثقلتين بالشوق، ولم تعد بحاجة لأن تتظاهر.

أضافت: «لكن الخيار خيارك...».

استدارت مبتعدة وسارت نحو الباب ولم تنظر إلى الخلف، فقد يكون هذا دلالة ضعف، أو ثقة مفرطة بالنفس. لأنه سيلحق بها.. وهي واثقة من هذا.

ذهبت إلى غرفتها ووقفت قرب السرير، إلى جانب واحد، وقلبها يضرب مثل المطرقة حتى كاد يصيبها بالصمم في السكون.

ودخل نك، يرتدي روبه الحريري، ونظر إليها متفرساً، وقال: «هل أنا الأول في حياتك؟».

ولون الاحمرار وجهها: «وهل يهم؟».

قال بصوت أجش: «تعرفين أنه يهم. أريد الأفضل لك پيج. وهذا قد

يعني أن أضطر إلى السيطرة على النفس. لذا أجيبي.. أرجوك».

قالت بحرارة مفاجئة: «أجل. أنت الأول، بالطبع. كيف يمكن أن يكون هناك أحد سواك؟».

أحنى رأسه اعترافاً: «أنا لا أستحق هذا.. هل أنت واثقة تماماً.. الوقت لم يفت بعد..».

ـ الوقت دائماً يتأخر.

ورفعت يديها لتدفع شعرها إلى الوراء، ثم ابتسمت له مضيفة: «لقد انتظرت سنة نك.. ألا يكفي هذا؟».

فقال بخشونة: «بل أكثر مما يكفي».

ودنا منها بشوق عارم، ليأخذها بين ذراعيه في عناق حار فجرّ ما كبتاه في نفسيهما من عواطف جيّاشة ومشاعر فيّاضة... عناق تمنّت ألا ينتهي.

***

١٠ ـ ... سأبقى سائرة نحوك

استسلمت پيج بين ذراعي نك دون تفكير، تبتسم له وتداعب شعره.

قالت بصوت بطيء مقطوعة الأنفاس: «لم أكن أعرف.. ما حلمت من قبل...».

اشتدت ذراعه حولها وتمتم: «لطالما حلمت.. من أول لحظة في ذلك المقهى عرفت...».

ـ أوه.. يا إلهي.

وهزتها موجة ضحك: «أنا أموت الآن ألف ميتة وأنا أتذكر هذا».

ـ لا تتذكري إذن. ويجب ألاّ تلومي القدر للطريقة التي جمعنا فيها معاً.

صمت لحظة: «ذهبت خلفك حين غادرت المقهى.. لقد كنت نذلاً معك.. وكان ذلك غير ضروري أبداً.. مبالغة في رد الفعل على لقاء المرأة الوحيدة التي رغبت فيها، وأحسست بالرعب من أن أكون قد أفسدت الأمور، خاصة عندما رأيتك تختفين».

ـ أجل لقد اختفيت.. أردت فقط أن أبعد نفسي تماماً.

ـ لكن أحد الشبان الذين كنت معهم عرفك.

وداعب نك شعرها: «قال إنك كنت «فتاة هارينغتون» لكنك لا تعملين لحساب الشركة.. وهذا أفضل لأن الشركة واقعة في مشاكل وتبحث عن تمويل خارجي. لكن، لن يجدوا أحداً لأن مجلس الإدارة للعائلة فقط. ومن سيكون مستعداً لتقديم ذلك النوع من التمويل دون مقدار جدي من السيطرة؟».

صمت قليلاً، ثم أضاف: «وهذا ما جعلني أفكر، بالطبع. فعدا عن

www.elromancia.com

فرصة رؤيتك مرة أخرى، بدا لي أن هارينغتون تستحق الإنقاذ. وخطر ببالي أنني لو كنت مستعداً لمساعدتهم، فقد تكونين ممتنة لي. بل ممتنة إلى درجة الزواج بي».

وتنهد: «لكنني سرعان ما أدركت أنني تورطت في تمويل طوارىء كامل. وأنّ ما من وقت لأي نوع من خطب الود المتكاسل الذي كنت أفكر فيه، كما كنت مرعوباً من أن يظهر شخص آخر يلوح بدفتر الشيكات فيزوجك أخوك منه بدلاً مني».

سألت پيج بارتياع: «أتظن أنني كنت سأوافق؟».

ـ وكيف لي أن أعرف؟ لقاءاتنا الأولى لم تكن واعدة، واكتشفت أنك مخلصة لوالدك. وربما كنت تفضلين أي بديل عني.

وكشّر وهو يتابع: «وقررت أن أفضل خطة هي ضربة وقائية.. لذا عرضت النوع الوحيد من الاتفاقات الذي اعتقدت أنك قد تقبلين به».

ـ ولو لم أفعل؟

ـ كنت سألجأ إلى الخطة «ب».. الزهور، الاتصالات الهاتفية، دعوات العشاء. وبقيت أتذكر التجاذب الذي كان بيننا منذ أول لحظة في المقهى. والطريقة التي لم أصدق فيها حظي حين سرت نحوي. وقلت لنفسي إنني بطريقة ما سأجد تلك الشعلة مجدداً.

ضربت پيج كتفه بلطف: «كنت واثقاً جداً من نفسك».

أنكر فوراً: «أبداً.. فقد استعجلتك للزواج لأنني كنت أخشى أن تخافي وتنسحبي من المسألة كلها».

وهز رأسه: «أردتك يائساً. لكنك بدوت مغلفة بالثلج في حضوري... ووقعت في الفخ حين وعدت أن يكون ما بيننا علاقة عمل فقط. لكن، حين حطمت كل القواعد وعانقتك، فكرت في وجود أمل».

نظرت إليه پيج وأرجعت الشعر الأسود عن جبينه.

ـ شهر العسل لم يكن من ضمن الشروط.

ـ لا.. لكن حين عرضت عليّ جدتي المنزل، بدت لي فرصة لقضاء بعض

الوقت معاً دون أيّ تدخل خارجي، وكذلك لإقناع أي متطفل بأنه زواج حقيقي. وفكرت.. لو استطعت أن أكسبها إلى جانبي، فستكون البداية.

ـ وإيصالي إلى ذلك الفراش الضخم؟

ابتسم متكاسلاً لها، وقال: «كان ذلك جائزة لي».

صمتت لحظة ثم قالت بصعوبة: «إذن، لماذا ابتعدت عني تلك الليلة؟».

قال بهدوء: «كان ذلك أسوأ من الجحيم. لأنني عرفت أن إغواءك.. هو جزء صغير مما أريده فعلاً. مراقبتك وأنت تلعبين مع الطفلة على الشاطىء كشفت لي الحقيقة، جعلتني أفهم أن الزواج الكامل المكتمل، مع ما يحمله من معانٍ، هو ما سيكفيني».

وصمت قليلاً: «لكن لم يكن هناك ضمانة أنك تشعرين مثلي. احتجت إلى في تلك اللحظة لأنك كنت خائفة من الظلام. لكن ربما قد تشعرين بشكل مختلف في النهار. ولم أكن قادراً على التعامل معك، سيدتي.. المرأة التي أحب».

ـ لماذا لم تقل شيئاً..؟

ـ كي لا أحصل على رد لا أريده. لذا تصرفت بجبن، وندمت على جبني بعد ذلك، وأحسست أنني وصلت إلى القمر حين قبلت بوظيفة العلاقات العامة في شركة هارينغتون.

والتوى فمه ليضيف ساخراً: «لأنني ظننت أنها قد تعني أن أراك دائماً. وأن أبدأ بالتعويض».

وهز رأسه: «لكن كم كنت مخطئاً. فقد أدركت على الفور أنك تتعمدين تجنبي، وأحسست كأنني منبوذ. وقلت لنفسي إن الأمر لا أمل فيه، وإنه من الأفضل أن أتركك تحصلين على الطلاق، ثم أحاول أن نبدأ من جديد، بطريقة ما. لكن حين رأيتك في سانت انطوان مع براد كولتر، عرفت أن ما من طريقة تجبرني على تركك».

عضت پيج شفتها: «ولم تكن وحيداً تلك الليلة كذلك».

ـ لا.. كنت مع ابنة إليان فروبات.. فتاة صغيرة جداً ومفسدة دلالاً،

وثرية، قررت أن تستغلني ليغار صديقها، وبما أن اليان زبون، لم أستطع أن أوجه لساني اللاذع إلى ميشال بقدر ما تستحق.

انفرجت شفتا پيج عن ابتسامة: «وهل نجح الأمر مع صديقها؟ لأنه نجح بالتأكيد معي».

وصمتت، لتختار الكلمات بحذر: «لكن، كان لدي يومها الكثير من الوقت لأغار.. فأنت لم تكن تعيش حياة ناسك ونحن مفترقان».

ـ لقد مثلت الدور جيداً، وبما يكفي لإبقاء الشائعات دائرة.

ـ وهل كان هذا كل ما في الأمر؟ شائعات؟

ـ كنت أعيش حياة ملفتة تحت الأضواء حبيبتي. أنت لم ترغبي بالبقاء معي، ولم أكن مستعداً لأن أجاهر بحبي. لذا شوهدت مع الكثير من النساء. لكن عند انتهاء الأمسية كنت أذهب إلى البيت لوحدي. وكنت دائماً آمل أنني في يوم ما، أو بمعجزة ما، سأكسب ودك، وما كنت لأسمح لأحد أو لأي شيء أن يعرض هذا للخطر.

عضت پيج شفتها: «ما كنت أمسك صحيفة إلاّ وأرى صورة لك مع فتاة أخرى.. وقلت لنفسي إنني لن آبه، وإن هذا سيجعل الطلاق أكثر سهولة. لكني من الداخل، كنت أتألم كثيراً، واعتدت أن أستيقظ في الليل وأنا أبكي. لكنني مسرورة لأنني لم أكن أتذكر أحلامي».

ـ ما كنت لأعرف هذا. حتى عندما تكلمت معك على الشاطىء تلك الليلة، بدا عدم اكتراثك كجدار صلب. لكنني لم أكن أفكر بشكل مستقيم، فجاك الذي كان يراقب هارينغتون لحسابي، كان يرسل لي دفعات يومية من المعلومات التي لا أريد أن أسمعها. كان هناك غش في المؤسسة كلها.. وأكبر غش على الإطلاق، كان زواجي منك، كما يبدو.

وأضاف بشيء من الألم: «وقررت على الفور أن هذا يجب أن يتغير. وأنك كنت تنجين بفعلتك بكل طريقة ولمدة طويلة، ويجب أن أضع حداً لذلك. وحين علقنا بالإعصار، أتيحت لي فرصة أن أكون لوحدي معك، إلى أن انقطع التيار الكهربائي.. وأصبحت أنت فجأة، ضعيفة مجدداً، مثل تلك الليلة في

فرنسا.. وبعيدة عن منالي للسبب ذاته».

رفع نك نظره إليها بوجه متجهم: «لماذا تخافين الظلام پيج؟ لطالما تساءلت».

عضت شفتها: «إنه شيء سخيف. شخص ما قال لي حين كنت صغيرة، إن الوحوش تختبىء في غرفتي فصرت أضع إلى جانبي مصباحاً صغيراً. ثم مرضت أمي، وأرسلت لأقيم مع عائلة صديقة لي. كان لديهم مربية لا تؤمن بتدليل الأولاد بترك ضوء في غرفة النوم، واستيقظت ذات ليلة لأجد نفسي في غرفة غريبة. وفجأة، ظهرت لي الوحوش، وبدأت أصرخ ولم أستطع أن أتوقف».

أضافت بخشونة: «أعتقد أن والدي صديقتي، قررا أنني غير طبيعية مع أنهما كانا لطيفين معي يومها. إلا أنهما لم يطلبا مني البقاء مع بليندا مرة أخرى. لطالما ظننت أنني سأكبر وأتجاوز ما حصل، لكن هذا لم يحصل».

لامس خدها بيد لطيفة: «لا تكوني واثقة من هذا، فأنا هنا الآن. ولا حاجة لأن أسألك من أخافك أساساً، إذ أمام أخيك اللعين الكثير ليرد عليه».

ـ كل الأخوات الصغيرات يتعرضن لمزاح إخوانهن.. إنها لعبة للتسلية.

وهزت كتفيها: «لم يكن يعرف أنني ضعيفة هكذا».

ضاقت العينان السوداوان: «لا أظنه يعرف الكثير عنك.. هل يعرف أنك كنت تستخدمين الشركة كمصرف خاص مثلاً؟».

ضاقت حنجرة پيج فجأة. أوه.. يا إلهي. سعادتها جعلتها تنسى بسهولة الورطة المالية التي تسبب توبي بها. لكن، لا يمكن أن تنسى. لعل نك مستعد لأن يسامحها، لكن سيكون الأمر مختلفاً تماماً مع توبي.

يجب ألاّ يعرف.. وبالتأكيد، فإن تحمل اللوم بسبب أخطاء توبي ثمن بسيط تدفعه من أجل وعد مشرق بالمستقبل.

ولم تنظر إليه، وقالت مترددة: «لم يذكر هذا أبداً.. أنا آسفة، آسفة جداً على كل شيء».

وأخذت نفساً عميقاً: «أنا.. أنا لا أستطيع أن أصدق أنك ما زلت تريد

البقاء معي».

ـ بقدر ما أحتاج أن أتنفس.

وضمها إليه يعانقها بحنان غير محدود: «لكنك تفهمين أنه لا بد من التغيير».

ـ هل يعلم أحد لماذا أترك هارينغتون؟

ـ جاك.. وهو يعمل لحسابي فقط.

ـ بطريقة ما، سيكون هذا راحة لي، أنا لم أرغب أصلاً بالوظيفة.

وكان هذا على الأقل الحقيقة.

ـ هل تقولين لي إنها رغبة لا واعية بأن تُطردي؟

ـ أو طريقة خبيثة لجذب اهتمامك؟

قال: «كنت دائماً تحصلين على هذا.. لم تكوني الوحيدة التي تجد صعوبة في النوم ليلاً».

استدار لينظر إلى ساعة قرب السرير: «لكننا الآن يا حبي، يجب أن نفعل هذا بالضبط».

وسمحت ليدها أن تداعب خده: «أتعتقد هذا حقاً؟».

أمسك نك أصابعها بحزم: «أحسني التصرف».

دنت پيج منه أكثر، وهمست بابتسامة تشبه ابتسامة القطط: «هل أنت واثق جداً من أنّ هذا ما تريده؟».

أمسك نك بوجهها متأوهاً وتمتم: «إذن، لا تقولي إنني لم أحذرك.. فهذه هي البداية فقط».

* * *

استيقظت ببطء وتكاسل، تمدد جسمها مترددة.

وحين نظرت إلى الساعة رمت الأغطية جانباً ونزلت من سريرها مسرعة. اجتماع مجلس الإدارة.. لمَ لم يوقظها نك بحق السماء؟

من الواضح أنه فكر بأنها ستكون محرجة بأن تقدم استقالتها شخصياً، وهو يحاول تجنيبها هذا. لكنها بحاجة لأن تكون هناك لتحذر توبي من أن نك اكتشف

تلاعبه بالأموال، وأنها ستغطيه.

أخذت ملابسها وطارت إلى الحمام، تراجع في ذهنها مواعيد أقرب قطار سريع يوصلها إلى لندن. مع شيء من الحظ من المحتمل أن تنجح.

لم تكن مرتبة كما هي عادتها إذ أخذت أول سترة وتنورة وقعتا تحت يدها.

سيفوتها بدء الجلسة، وفتشت في حقيبتها عن هاتفها النقال واتصلت بتوبي، لكن هاتفه كان مقفلاً.. وهذا على الأرجح مراعاة لوالدهما، الذي يكره الهواتف النقالة ويتذمر بمرارة لو تصاعد صوتها في الاجتماعات أو في أي مكان آخر. نظرت بقلق إلى ساعتها. إنهم على وشك التجمع الآن. لكن، سيسبق الاجتماع تناول القهوة والبسكويت، لذا فقد يبقى لديها وقت لتحذير توبي قبل أن يجري كشف الأمور.

أخذت سيارة أجرة من محطة القطار، ودست المال في يد السائق المندهش وهي تهرع إلى مبنى الشركة. في المصعد، حاولت أن تهدىء أنفاسها المهتاجة وهي تمشط شعرها بأصابعها.

خارج غرفة الاجتماع، قفزت السكرتيرة على قدميها: «آنسة هارينغتون.. أعني، سيدة ديستراي.. لم نكن نتوقع حضورك».

قالت پيج برقة، وهي تمر بالسكرتيرة بسرعة ثم تعبر الباب: «ولماذا لا أحضر؟».

داخل الغرفة، ساد جو متوتر. كان والدها جالساً على رأس الطاولة ونك على الطرف الآخر في مواجهته. وكان إلى جانبه رجل نحيل ملتح، لا بد أنه جاك الينبي. اندست پيج في المقعد الفارغ. لا بد أن جاك يسجل الوقائع، لأن لا وجود للموظفين، ولا حتى سكرتيرة توبي.

قالت تعتذر بسحر، وهي تبتسم: «آسفة للتأخير. ساعة المنبه لم تعمل لسبب ما».

نظرت إلى نك نظرة صاعقة، تتوقع أن ترى التسلية الخبيثة في عينيه. وبدا وجهه وكأنه نحت من غرانيت، وكأن الحبيب العاشق، لا وجود له. نظرت پيج إلى الطاولة اللماعة، وأحست بانكماش بسيط من عدم الارتياح في معدتها.

وتكلم والدها، دون ارتياح: «لقد فهمنا من نيكولاس أنك لن تحضري الاجتماع عزيزتي».

ردت: «غيرت رأيي. هل لي أن أحصل على برنامج العمل أرجوكم».

ودفع توبي الجالس قبالتها متوتراً، بحفنة أوراق نحوها.

قال والدها: «نحن نبحث الآن البند الثالث، التقرير المالي الفصلي الذي أعده السيد.. آه.. الينبي».

التقطت بيج نسختها وفتحتها بيدين مرتجفتين قليلاً. وجاء صوت نك بارداً كالحجر: «كما كنت أقول قبل المقاطعة. أسلوب العمل الملائم هو اجراء تحقيقات داخلية كاملة، في كل هذه المخالفات الفادحة.. لكن الأخبار ستتسرب بكل تأكيد، وآخر ما نحتاج إليه هو المزيد من الدعاية السيئة للشركة. فقد تلقّت سمعة الشركة ضربة ربما لن تستعيد بعدها عافيتها، يجب أن تشاركها ميتلاند ديستراي فيها».

قال توبي بعدوانية: «أوليس هذا مبالغة؟ على أي حال، لم نكن نعرف أن تربة سي غروف سيئة ونحن أخذنا رأي الخبراء الموثوق فيهم».

ـ حقاً.. لكن مشروع سي غروف ليس سوى جزء من المشكلة، كما يوضح التقرير، واللوم في هذا يقع على شخص موجود في هذه الغرفة.

ضحك توبي بصوت مرتفع حاد: «عظيم.. إذن فرأسي سيوضع على المقصلة. أليس كذلك؟ بينما كنت أعمل ليل نهار لأوفر مال الشركة».

سأله نك: «كيف؟ بتركيب مفاتيح وحمامات من الباب الثالث في منازل فخمة؟ هذا اقتصاد زائف. خاصة حين تأخذ من الزبون مبلغاً كبيراً لقاءها.. أم ظننت أنهم لن يلاحظوا هذا؟».

قال توبي بخفة: «إنه سوء تفاهم مع الموردين. حصلت مشاكل معهم في الماضي».

قال نك بحدة: «مع ذلك، استمريت في التعامل معهم. وهذا خيار مثير للعجب. لكنك ستبقى المدير الإداري في الوقت الحاضر، فأمامك كارثة سي غروف لتسويها».

قال توبي بلهفة: «وهل سنحصل على تمويل إضافي من ميتلاند ديستراي؟».

ـ هذه المرة، أجل. لكن هذا المشروع والمشاريع المستقبلية، سيشرف عليها أشخاص يعينهم المصرف.

بدأ توبي: «في الحقيقة لا أستطيع الموافقة على هذا..».

لكن والده تدخل مقاطعاً: «لست مضطراً للموافقة.. لأنني موافق».

وضرب بيده على التقرير: «هذا.. هذا كابوس».

تنهد توبي: «اسمع.. لقد وفرت في بعض النواحي، أعترف بهذا. لكن ماذا في هذا؟ كل إنسان يرتكب الأخطاء».

قال نك بهدوء: «أجل.. كلنا حمقى في بعض الأحيان».

قال توبي: «إذن، ستسير الأمور على طبيعتها».

ولم يكن يبتسم بخبث أو يفرك راحتيه بابتهاج. لكنه يكاد يفعل.. أو لعله لم يكن يرى كم هو قريب من الكارثة؟

قال فرانسيس هارينغتون: «هذا ما سيكون ظاهراً. وإذا لم يكن هناك أعمال أخرى، فأقترح فضّ الاجتماع».

وقفت بيج على قدميها: «هناك أمر واحد بعد. أقدم استقالتي من منصب مديرة العلاقات العامة، منذ اليوم».

احتج توبي: «لا يمكن أن تفعلي هذا.. من سيتعامل مع أناس سي غروف؟».

نظرت بيج إلى نك للتأكد: «نك سيأتي بشركة خارجية».

لكنه لم يقل شيئاً.

وقال توبي بغضب: «حسن جداً، أعتقد أن عليك أن تبقي. لقد اعتدت على التعامل معك.. إنه.. ملائم».

قالت له بصراحة: «لكنه غير ملائم لي. وعلى أي حال، اتخذت قراري. في الواقع سأخلي مكتبي الآن وأعود إلى بيتي».

قال توبي بلهجة ساخرة: «لتفعلي ماذا بالضبط؟».

هذه المرة لم تنظر إلى نك، وقالت ببرود ووضوح: «لأحمل طفلاً».

وخرجت، تاركة خلفها صمتاً عميقاً.

لم يكن لديها في الواقع أشياء كثيرة تلملمها، فهي لم تحاول أبداً جعل المكتب شخصياً، لأنها لم تشعر أنها تنتمي إليه.. لذا فحقيبة صغيرة تكفلت بمحتويات أدراج مكتبها.

عملت ببطء، تنتظر مجيء نك بعد القنبلة التي فجرتها. وأكدت لنفسها: بالكاد يستطيع أن يتذمر. فهو يريد زواجاً حقيقياً، والأطفال يأتون مع الزواج الحقيقي.

كانت تحاول أن تقرر مصير النبتة الوحيدة في مكتبها حين دخل توبي.

قالت بيج: «أوه.. هذا أنت؟».

ـ كان علي المجيء لأهنئك. حسن جداً، هذا طبيعي.

ـ شكراً لك. لكن الإعلان سابق لأوانه.

أو ربما لا.. واحمر وجهها قليلاً.

لوّح بيده دونما اكتراث: «لم أقصد هذا. أنت فتاة ذكية جداً أختاه، ولا أظن أن أمراً كهذا يمرّ دون إظهار الامتنان».

وضحك ضحكة قصيرة: «يا إلهي.. أنت بالتأكيد لم تضيّعي أي وقت».

ـ لا أعرف عما تتكلم بحق السماء. لكن بما أنك هنا، فمن الأفضل أن أحذرك بأن نك يعرف بالغش الذي تقوم به بالنسبة لمصاريفي.

شحب وجهه: «وماذا يعني هذا بالضبط؟».

قالت بيج بازدراء: «أوه.. لا تكذب. من حسن حظك أنه لا يعرف أنك قادر على تزوير توقيعي، ويظن أنني أنا من يسحب المال».

جلس توبي متثاقلاً على الكرسي المواجه لمكتبها: «أشكر الله على ذلك».

قالت بمرارة: «سامحني إذا لم أقل «آمين». ما الذي تملكك لتفعل شيئاً كهذا؟».

نظر إلى السجادة وتمتم: «إنها دنيس. إنها لا تفهم أننا نمر بأوقات مالية صعبة.. فواتير بطاقة الاعتماد وحدها كابوس».

قالت: «أوقفها. أعدها إلى المصرف، ودبر ما تستطيع دفعه كل شهر».

رد مشاكساً: «لا أستطيع هذا، قد تتركني».

ـ لكن، هل ستبقى لو ذهبت إلى السجن؟

هزت رأسها: «لا بد أنك مجنون.. وبالطبع لديك خيار آخر، يمكن أن تذهب إلى نك.. وتقول له كل شيء، وتبيض صفحتك».

وكان تعبيره بشعاً: «لا بد أنك تمزحين. هذا سيجعل انتصاره مكتملاً».

ـ وهل يهم هذا حقاً؟ وهو يعرف هذا القدر؟ يداك بالكاد نظيفتان توبي.

كان يراقبها بعينين ضيقتين: «هناك بديل بالطبع.. بإمكانك الحصول لي على زيادة مرتب.. استدعي قوة إقناعك التي استخدمتها بنجاح ليلة أمس».

ـ ماذا تعني؟

ـ لقد فات الوقت للعب دور البراءة حبيبتي. أنا أعرف أن نك أقام في المنزل الريفي معك ليلة أمس لأن صديقه الحميم اتصل به على رقم هاتفك. وعندما وصل إلى هنا هذا الصباح، بدا واضحاً لجميع من في المبنى أن شخصاً ما جعله سعيداً جداً، جداً.

قالت بهدوء والاحمرار يغزو وجهها: «أنا لم ألاحظ أي دلائل واضحة في الاجتماع».

ضحك توبي: «حسن جداً.. يجب أن تشكري المتطفل البنيي على هذا. فقد جرّه إلى غرفة والدي ليتكلم معه سراً، وما قاله، أزال البسمة عن وجه زوجك. لكنه، مع ذلك، لم يتراجع في كلمته، وما زلت المدير الإداري، والشكر لك في هذا يا ملاكي. أنت مذهلة، أتعرفين. كل ما كان علي أن أفعله هو توجيهك في الاتجاه الصحيح، وها هو الآن يلتف حول إصبعك الصغير».

وضحك لوقوف بيج جامدة، تتطلع إلى ورائه، وتابع: «أرجو ألاّ يكون الحبيب قد تطلب كثيراً.. ماذا فعلت؟ هل فكرت في شخص آخر؟».

قال نك من على الباب خلفه: «لا.. بل فكرت بهارينغتون».

في ظل ظروف أخرى، كان يمكن للتعبير الذي بدا على وجه توبي أن يكون مضحكاً. لكنها تفضل الموت على الضحك الآن.

وقرر أخوها المشاكسة: «لو سمحت، كنت أتبادل نكتة خاصة مع أختي».

رد نك ببرود: «عن كيفية التخطيط لكيفية سلب الشركة مع تغاضيها عن المسألة؟».

وكان في صوته رنة جعلت پيج ترتجف.

وقف توبي: «لا.. مهلك لحظة..».

أكمل نك: «أخرج من هنا قبل أن أفعل شيئاً أندم عليه، وأقفل الباب خلفك».

وأغلق الباب وأصبح الزوج والزوجة وحيدين، ينظران إلى بعضهما. وأجبرت پيج نفسها على التحرك وخطت خطوة إلى الأمام نحوه: «نك.. يجب أن تستمع إلي..».

ـ تعنين كما استمعت أنت إلي ليلة أمس.. وأنا أصب أمامك ما في قلبي؟

ولمعت نظرته ازدراء: «وأنا أروي لك كل حلم جياش بالعاطفة، يعبر عن لوعة الحب، حلمته يوماً؟ لا أعتقد هذا».

جربت مرة أخرى، ويائسة: «لكنك لا تفهم...».

ـ بالعكس، الأمر واضح جداً. لقد عرفت هذا من مصدره الأساسي..

وأحست أن كلامه المتشدق يسلخ البشرة عن عظامها: «أنت من عائلة هارينغتون حتى أطراف أصابعك الرقيقة، ألست كذلك حبيبتي؟ وقد تفعلين أي شيء لحماية عائلتك. ولقد خدعتني طوال الوقت».

وتابع بمرارة: «أخبريني.. هل يعلمونك أن تزيفي تجاوبك معي في أفضل المدارس؟».

ـ نك، أنت غاضب، ولا ألومك. ما سمعته فظيع.. مخجل.. لكنه ليس صحيحاً.

التوى فمه سخرية: «أتعنين أن أخاك لم يقترح أن أتركه يخلص من ورطته مقابل خدماتك في الفراش؟».

ردت بصوت أجش: «لا. لا يمكن أن أتظاهر بهذا».

رد بحدة: «يعجبني صدقك، لأنه كان غبياً بما يكفي ليتصل بشخص ما قبل قليل، ولا شك أنه أحد شركائه في الجريمة، وأخذ يتفاخر بفكرته. وكان جاك يعمل في مكتب ملاصق يراجع تقريره».

رفعت ذقنها: «لكنني رفضت. وقلت له إن لا دخل لي بهذا وأبعدته، ويجب أن تصدقني».

قال ببطء: «لو قلت لي ليلة أمس إنك لم تختلسي المال من الشركة لصدقتك. لكنك كذبت علي پيج، وعرفت هذا لأنني رأيته في عينيك. لكن، ما لم أستطع فهمه هو لماذا تقبلين باللوم على شيء لم تفعليه».

هز رأسه وتابع: «أردتك بيأس أن تكوني صادقة معي، وأعطيتك الفرصة لتشرحي الأمر لي. ثم قال لي جاك هذا الصباح إنه كان يقارن توقيعك الحقيقي بتواقيع المصاريف الوهمية، وعرف أن هناك خطأ ما.. وأدركت أنك ستضطرين إلى حماية ذلك الأحمق الذي لا يساوي شيئاً».

ردت پيج متعبة: «وتعرف الآن السبب.. فأنت ستسامحني، لكنك لن تسامح توبي.. حتى كان بإمكانك استدعاء الشرطة. أحسست أنني مضطرة إلى حماية أسرة هارينغتون.. كما فعلت أنت في مجلس الإدارة اليوم.. وكان هذا رغماً عني، لأنني اضطررت لأن أتقبل واقع أن أخي محتال، وهذا أمر غير سهل».

وصمتت قليلاً: «وكنت كذلك قلقة من تأثير ذلك على أبي».

قال نك باختصار: «لكنه اختار أن يشاركني رأيي، إنه أقوى مما تظنين».

انقطعت ضحكة پيج في منتصفها: «لا بد أن ولديه خيبا أمله.. أحدهم لص والأخرى كذابة.. ولو لم تكن تجيد الكذب».

هزت رأسها: «أمر ساخر، أليس كذلك؟ حاولت إنقاذ توبي فدمرت سعادتي».

قال: «لا شيء يمكن أن ينقذ توبي. لن يكون هناك ملاحقة قانونية، من أجل الشركة، لكن أيامه هنا معدودة. فما إن يتم التعامل مع كارثة سي غروف حتى أوصي، وبموافقة والدك، أن تباع شركة هارينغتون وبما لشركة

وينستانتلي.. إنها مؤسسة صلبة وجيدة وتتطلع إلى التوسع».

ـ وهذا سيتركك حراً لتبتعد؟

هز كتفيه: «ما كان يجب أصلاً أن أتورط مع هارينغتون. وكان حكمي.. خاطئاً، ولأسباب واضحة».

وصمت قليلاً: «لكن لن يكون هناك مكان لتوبي. فالشائعات تنتشر حوله».

وتكور فمه: «أرجو أن يكون قد دخر مكاسبه الباطلة، لأنه قد يحتاج إليها. إضافة إلى كل ما يمكن أن تخسره إياه زوجته المسرفة».

قالت ببطء: «كان هذا خوفه الأكبر دائماً، ولم أفهم هذا قبل الآن. كيف من الممكن أن تحب شخصاً بهذا القدر، وأن تحتاجه بيأس قد يدفعك إلى فعل أي شيء كي تحتفظ به. ويقال إن فهم هذا يعني أن تسامح، وأنا لن أغفر لأخي ما فعله، لكن لأول مرة أعرف لماذا فعله».

حاولت أن تبتسم لكنها فشلت، وتابعت: «لأنني هكذا أحبك نك، ويبدو الآن أن الأمر سينتهي بنا، أنا وتوبي، وحيدين».

وكان وجهه قاسياً، وبدت كل عظمة بارزة تحت بشرته السمراء: «بيج.. لست مضطرة لقول هذه الأشياء».

ردت بحرارة: «آه.. لكنني سأقولها. لقد قلت لي إن عينيّ تفضحاني حين أكذب. حسن جداً، أنظر إليهما الآن نك.. وانظر إلى الحقيقة كلها. انظر إلى أنك حبي وحياتي، ولو فقدتك، فسيزول كل شيء. منذ اللحظة الأولى أحسست بالكثير نحوك، إلى درجة الذعر.. وأنكرت. أردتك يائسة. مع ذلك اقتنعت أنني مجرد بديل لمقعد في مجلس الإدارة».

أخذت نفساً حاداً: «كلانا مخطىء حبيبي. ولا أهتم بهذا لأنني لن أغيّر شيئاً فيك... أخطاءك وكل شيء.. أنت رجلي.. أرجوك.. أرجوك دعني أكون امرأتك».

وتحول صوتها فجأة إلى التوسل: «أوه يا حبي.. لا ترسلني إلى الظلام مجدداً».

قال بصوت أجش: «يا إلهي العزيز.. هل تظنين حقاً أنني أستطيع أن أتركك؟ لو كنت مكان توبي لفعلت أي شيء لأستبقيك. هكذا سيكون الأمر.. ودائماً».

أحست بفرح غامر داخلها، يهزّ كيانها كله، ويجعلها تريد أن تغني وتضحك وتبكي. لكنها أبقت وجهها وقوراً.

قالت مفكرة: «الآن وقد نظفت مكتبي من أوراقي، سأعود إلى منزلي الريفي. فأنا لم أنم كثيراً في الأربع وعشرين ساعة الماضية.. لذا يمكن أن أستفيد من النوم باكراً الليلة».

وكان وجه نك وقوراً أيضاً وهو ينظر إلى ساعته: «ألا تعنين بعد الظهر؟».

ـ بلى.. ولما تبقى من حياتنا.

وتقدم نحوها ليمسك بها وأصبح صوته خشناً فجأة: «هل تعرفين ما أنت مقدمة عليه؟».

التقت عيناها بعينيه بهدوء: «أجل حبيبي. أعرف. ولقد أضعنا الكثير من الوقت. ولا أستطيع حقاً الانتظار أكثر، ولا أريد أن يكون طفلنا مجرد وهم».

ـ فكرت في أن نأخذ عطلة طويلة في النورماندي، وسأرى إذا كانت جدتي ستعيرنا ذلك السرير الضخم لشهر عسل ثانٍ.

التوت شفتا بيج: «أنا واثقة من أنها ستعيرنا إياه. فالفرنسيون عمليون جداً».

ـ أوه.. ولديهم أحلامهم كذلك، وأحياناً تتحقق.

أرجع شعرها إلى الوراء عن وجهها بحنان لا مثيل له. وقال ببطء: «بعد خمسين سنة.. سأبقى أتطلع عبر غرفة مكتظة بالناس ولا أرى سواك».

ردت بيج بنعومة: «وأنا، سأبقى سائرة نحوك.. والآن خذني إلى البيت».

ورفعت وجهها إليه ليعانقها.

* * *